فِقهُ حُبِّ الحَيَاةِ

تأليف
فضيلة الأستاذ الدكتور
علي جمعة
عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

بطاقة فهرسة

فقه حب الحياة / تأليف: أ. د/ علي جمعة

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

ط ١ ـ القاهرة ـ دار النهار للنشر والتوزيع، ٢٠١٧

غلاف ،   ١٨٥ ص ، ١٧ × ٢٤ سم.

رقم الإيداع : ١٤١٩٩/ ٢٠١٧

الترقيم الدولي: ٣ ـ٦٧ـ ٥٦٧٩ — ٩١١ـ ٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة

١٤٣٨ هـ ـ ٢٠١٧ م

دار النهار للنشر والتوزيع

٧ ش الجمهورية ـ عابدين

القاهرة ـ مصر

ت / ٠١١٤٧٢٠٨١٧٣ — ٠١٠١٨٥٧٢٢٤٥

فاكس / ٣٨٢٤٨٥٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد: هناك فرق كبير بين حب الحياة وبين حب الحياة الدنيا، فالحياة في مفهومنا تشمل الدنيا والآخرة، وعقيدة المسلمين تشتمل على الإيمان باليوم الآخر ومن بعده الخلود والبقاء، وأما هذه الدنيا ليست غاية الأمر، بل هي الفانية، ولذلك قصر تعالى الحياة على الآخرة فقال: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]

فالدنيا جزء قصير في رحلة الحياة، فمن أحبها وتعلق بها وحدها فقد نسي وخسر حب الحياة الدائمة.

قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٢]

وقال تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ ﴾ [الأنعام: ٧٠]

ولقد أمرنا بأن نحب الحياة الدنيا من حيث هي مرحلة أو مزرعة للحياة الآخرة الباقية، وكذلك أمرنا بأن نأخذ حظنا من السعادة فيها فالمؤمن هو الأحق والأجدر بأن ينال حظه من نعم ربه وعطائه وتسخيراته في الكون. ولكن نتمتع بزينة الحياة الدنيا وأعيينا على الدار الآخرة التي هي استمرار للحياة .

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢]

قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧]

وقال تعالى: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الشورى: ٣٦]

وقال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨]

وكل هذه الآيات الصريحة في دلالتها يغفل عنها المتشددون كما يغفل عنها المفرطون والجاحدون لآيات الله، فالأولون يكرهون الدنيا ويضيعون حقهم وحق الناس فيها، والآخرون يكرهون الآخرة ويعرضون عنها، ويقصرون الزينة والمتعة على الدنيا.

وكل هؤلاء مفاهيمهم ضيقة للحياة، على عكس مفهوم الإسلام الذي اتسع ووسع على أتباعه فجعل الحياة تشمل الدنيا والآخرة، أما الدنيا فقط فهي دقائق معدودات بحساب ربنا سبحانه وتعالى حيث قال : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج : ٤]

وكأن الساعة عند الله بأكثر من ألفي سنة وكأن الدقيقة عنده بأكثر من ثلاث وثلاثين سنة، فمن عاش في الأرض مائة عام فكأنما مرت عليه ثلاث

دقائق.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۞ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴾ [المعارج: ٦-٧]. قال تعالى: ﴿ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ۞ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ۞ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٢- ١١٥]

فالتفرقة بين حب الحياة وحب الدنيا أمر لازم لما نشأ من تعارض بين الحياة وبين الدنيا في عقول النابتة، فكرهوا الحياة لأنهم كرهوا الدنيا، وسعوا إلى الموت ، لاعتقادهم أن ذلك ترجمة لكراهية الدنيا، والحقيقة أن ذلك ترجمة لكراهية الحياة، التي أمرنا أن نتمتع بما فيها وألا نحرم زينتها ، وأن نجعلها مزرعة للآخرة، بخلاف من خلط بين الحياة والدنيا، ولذلك فإن الله قيد الحياة المذمومة بالدنيا التي تمتلئ بالشهوات .

قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [البقرة: ٢١٢]

وقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾[آل عمران: ١٤]

الفَصْلُ الأَوَّلُ

فقه حب الحياة

فقه حب الحياة

١ - جاء دين الإسلام؛ فكان من أركان الإيمان فيه الإيمان باليوم الآخر؛ فعَرَفَ المؤمنون به قيمةَ الحياة، حتى استقرَّ في وجدانهم أن هذه الحياة الدنيا هي مزرعة الآخرة، فلا بدَّ فيها من عبادة الله. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولا بد فيها من عمارة الأرض. قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

ولا بد فيها من تزكية النفس. قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

فالإنسان خُلِقَ أساسًا للبقاء، وليس للانتهاء والفناء؛ يعيش الحياة الدنيا ويموت وهي حياة عمل وكفاح واختبار لكنه لا ينتهي بل يبعث مرة أخرى لحياة أخرى، حياة يصل فيها إلى الخلود، وتكون دارًا للثواب والمكافأة على قَدْرِ ما قدَّم من عمل، أو دارًا للمؤاخذة على قدر ما فرط في حياته الدنيا.

٢ - ولما كان الأمر كذلك أراد الله لهذه الدنيا أن تُبْنَى على أعمدة وأسس أصلها الرحمة. قال تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وتنبثق من هذه الرحمة مجموعة من الأخلاق والقيم؛ منها الحبُّ، ومنها العدل، ومنها القسط بمعنى المساواة، ومنها العلم.

أما الحب الذي نسلط الضوء عليه هنا فهو ذلك الشعور الذي يشعر به الإنسان في قلبه بميل وتعلق تجاه شيء أو شخص أو معنى، وهذا الميل القلبي يدفعه إلى العطاء، فالحب عطاء، ويدفعه أيضا إلى الرعاية والعناية بمن يحب أو ما يحب، ويدفعه إلى الإصلاح، وبهذا المعنى فإن حب الحياة الدنيا ليس كما ذهب إليه بعضهم من أنه حب الشهوات والرغبات؛ فإن هذا حب مزيف لا يدوم وهش لا يبنى عليه.

قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

٣ – والفقه في اللغة الفهم، وإذا فهم الإنسان حقائق الأمور وفقهها استطاع أن يحسن التعامل معها، وأمرنا الله ﷻ وحثنا على الفقه، ففي القرآن قال تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٧٨] قال تعالى: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٨] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: **٣٦**].

ودعا ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: **«اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ»**.(١)

رواه ابن حبان. وترقى ابن عباس في العلم حتى لقب بحبر الأمة

---

١ - مسند أحمد:ج**١**/ص**٣٣٥**، ح**٣١٠٢**.

وترجمان القرآن.

وقال ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ». (١)

فالفقه مهم للتطبيق والتنفيذ وللوصول إلى الغاية المرغوبة، ومن ذلك فقه الحب.

٤ – شاع وسط المسلمين بعد ما تأملوا الكتاب والسنة قولهم: إن الدين يريد سعادة الدارين. يشيرون بذلك إلى مفهوم وحدة الحياة، وأن الحياة الدنيا والآخرة كشيء واحد، وإذا عرف الإنسان هذا لم يكن أبدا عبثيا ولا عدميا ولا فوضويا بل يصل إلى ما يسمى الحكمة، وهي فهم الأمور على ما هي عليه، ووضعها فيما يناسبها من مقام قوله: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وقد أخذوا مفهوم سعادة الدارين ووحدة الحياة من نصوص كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١] ومنها قوله ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ﴾ [النحل: ٣٠] وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ﴾ [النحل: ٤١] وقوله: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [القصص: ٧٧].

---

١ – صحيح البخاري: ج٦/ ص٢٦٦٧ ح٦٨٨٢.

وجاء في الأثر: «**اعمل لدنياك كأنَّك تعيشُ أبدًا، واعْمَلْ لآخرتك كأنَّكَ تموت غدًا**».[1] وأورد الغزاليُّ في الإحياء: «**الدُّنْيا مزرعةُ الآخرة**».[2]

٥ – وإذا عرفنا معنى الفقه ومعنى الحب ومعنى الحياة، فنريد أن نعرف كيف نقوم بهذه المعاني ونطبقها في حياتنا.

---

١ – مسند الحارث(زوائدالهيثمي):ج٢/ص٩٨٣ ح١٠٩٣.

٢ – إحياء علوم الدين ٤/١٩ طبعة دار المعرفة.

أَوَّلاً: مِنْ فِقْهِ حُبِّ الْحَيَاةِ حُبُّ الْأَكْوَانِ

قال ﷺ: **«الْخَلْقُ كلهم عِيَالُ اللهِ، وَأَحَبُّ عِبَادِ اللهِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ»**[1].

والخلق لفظة تدل على العموم، وتشمل الإنسان والأكوان، تشمل المسلم وغير المسلم الطائع والعاصي.

أ. الكون يسبح خالقه:

الكون كله يسبح لله ﷻ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١].

وقال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤].

فالله الخالق الحق هو المحبوب، والكون يسبح بحمده كل حين، والمؤمن من بني آدم حتى يكون منسجما مع الكون من حوله متصلا بربه يجب أن ينخرط في منظومة العبادة لله ﷻ والتسبيح، وكذلك يجب أن يكون محبا ومحترما لبقية الكائنات التي تشترك معه في التوجه إلى الخالق بالمحبة والذكر، والمسلم بهذا التصور يحترم جميع المخلوقات أصغرها وأعظمها؛ لأنه يراعي

١ - الطبراني: المعجم الكبير ج ١٠/ ص٨٦، ح١٠٠٣٣.

فيها عظمة موجدها ومدبرها، وقدرة من تَعَبَّدَهَا بالتسبيح والسجود.

وأنبياء الله ﷻ التي علمت منطق الطير والجماد كنبي الله داود عليه السلام، كانت تتشارك مع الجبال والطير سويا في معزوفة الذكر، فتمازجت أصواتهم وصعدت إلى السماء معلنة معنى الحب. قال تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠].

فنبي الله داود عليه السلام جعله الله خليفة في الأرض وآتاه الحكم والعلم ورزقه الحكمة وأمره أن يحكم بالحق فَحَكَمَ، وكان جزاؤه أن سخر الله له الجماد والحيوان تسخيرا خاصا، فكان إذا سبح داود أجابته الجبال، وكان عليه السلام إذا وجد فترة أمر الله تعالى الجبال فسبحت فيزداد نشاطا واشتياقا.

وقد خاطب الحق سبحانه وتعالى كثيرا من المخلوقات غير الإنسان:

فأوحى إلى النحل، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ * ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ﴾ [النحل: ٦٨-٦٩].

وأمر الأرض والسماء وقال تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ [هود: ٤٤].

وخيرهما فقال: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [سورة فصلت: آية ١١].

وعرض الأمانة على السموات والأرض والجبال، وجعل لهم اختيارا،

فأشفقن من تحملها واخترن الدخول في طاعة الله وعبادته جبرا، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢] .

والآيات السابقة ترسخ في وجدان المسلم احترام الكائنات من حوله على المستوى المادي والوجداني، ومن هذا المنطلق يتصرف المسلم مع المخلوقات جميعا في الأرض والسماء باحترام ورحمة.

ب. عمارة الأرض:

إن الله خلق الإنسان في الكون ليعيش فيه ويستمتع بما سخر له فيه من النعم، ثم يقوم بدور الخليفة يحافظ على مقدرات البيئة ويحسن استخدامها ويعمر في الأرض ويتشارك فيها مع غيره.

قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [سورة هود: آية ٦٢].

أي أمركم بعمارتها، والعمارةُ تشمل كل عمل فيه صلاحها وصلاحيتها المستدامة في تقديم ضروريات المعاش فيها، فعمارة الكون والمحافظة على مدخراته وما سخر به لقوام الإنسان ضرورة بقاء، وواجب من واجبات الأمانة والخلافة.

وإعمار الكون مظهر تتحقق فيه عبودية الإنسان لخالقه، لأن المعرفة بأسرار الكون توصل الإنسان إلى نصيب من حكمة الله في الوجود، وإعمار الأرض هو بذل الجهد لإقامة مجتمع فاضل عادل تتحقق فيه للإنسان الكرامة التي أرادها الله له، وتتحقق للإنسان فيه الحرية التي هي مناط المسئولية، وتسود فيه قيم المحبة والرحمة والتسامح والسلام والتعاون والاتحاد والتواضع

والصدق والعدل والإخاء والمساواة والاحترام.

وعملية إعمار الأرض كما يتصورها الإسلام ذات شقين، الأول يتعلق بصلاح المنهج، والثاني يتعلق بإتقان العمل والبناء وبذل الوسع فيه.

ولا بد من انضباط كل من الشقين حتى تنجح تلك العملية، وأساس صلاح البناء صلاح المنهج.

فإذا صاحب التقدم المادي البنائي تخلف عن القيم والفضائل الأخلاقية فسدت البيئة وانهدمت الحضارة، ففساد المنهج يمثل اصطداما للإنسان بالكون ويؤدي حتما إلى شقاوته ومعاناته للقلق والحيرة، وذلك لأن الكون له منهج وسنن، وله علاقة بخالقه، فيها تسبيح وسجود، فإذا تصرف الإنسان بعشوائية وفوضاوية دون نظام أو سنة، وإذا قطع علاقته بخالقه مصدر الوحي والمنهج، كان مصيره إلى الجهل؛ لأنه قد انقطعت صلته بمصدري المعرفة: الكون، والوحي. وصار متصادما مع كل الكائنات من حوله، يُفْسِدُ حياتها وحياته من حيث يدري ومن حيث لا يدري.

ج - والمسلم مدعو بنص الوحي إلى النظر في جمال الكون وإحكام صنعته:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ * وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [سورة الملك: الآيات ٣-٥].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [سورة السجدة: آية ٧] .

قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾ [البقرة: ١٣٨].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ * أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَآئِقَ غُلْبًا * وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا * مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس: الآيات ٢٤-٣٢].

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [سورة النحل: آية ٦٦].

وقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سورة فصلت: آية ٥٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة: آية ١٦٤].

قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾ [سورة الحجر: آية ٢٢].

وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾ [فاطر: آية ٩] .

قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الحج: آية ٥-٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾

[لقمان: آية ١٠].

وقال: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ﴾... ﴿وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [النمل: آية ٦٠- ٦٢].

في الآية ارتباط بين الجمال وبين الخلافة في الأرض، فقد جعلنا المولى تبارك وتعالى خلفاء في الأرض من أجل الاستمتاع بهذا الجمال وتنميته والمحافظة عليه، ووضوح هذا المفهوم في التصور الإسلامي من شأنه أن يجعل المسلم مُبْدِعًا في كل صناعة أو عمل.

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ * وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ * وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ *وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ * وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: الآيات: ٣-٨].

بدأت الآيات بالحديث عن الحق الذي قام عليه خلق السموات والأرض، ثم تحدثت عن خلق الإنسان من نطفة، ثم تبادلت الآيات الحديث عن الضروريات والتحسينيات، أي المنافع المباشرة والجمال والزينة.

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ * وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ

عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [سورة فاطر: آية ٢٧-٢٨] .

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَاۖ﴾ [سورة فاطر: آية ١٢].

فالماء عذب سائغ شرابه، والملح أجاج، واللحم طري، مما يعني أن المولى ﷻ لم يهب لنا مقومات الحياة فقط بل جعل فيها اللذة والجمال.

د - الإسلام ساوى بين الناس في حقهم بالمشاركة والانتفاع بما سخر الله في الكون:

إن مفهوم التسخير الإلهي كما يتضح في المنظور الإسلامي يوجب المساواة والمشاركة بين الناس جميعا في التمكين من الانتفاع بمنافع الكون، وفي توفير القدر اللازم لاستمرار حياة الإنسان.

- قال تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾ [سورة البقرة: آية ٢٩].

والآية فيها عموم من أكثر من جهة، فالضمير في «**لَكُمْ**» والاسم الموصول «**مَا**» و«**جَمِيعًا**»، تدل على عموم النفع لعموم الجماعة الإنسانية، و«**جَمِيعًا**» في مكانها من سياق الجملة يَصِحُّ أن تكون تأكيدا على العموم الذي أفاده الاسم الموصول، ويصح أن تكون تأكيدا على الضمير في «**لَكُمْ**»، فيكون التأويل حينئذ: هو الذي خلق لكم جميعا ما في الأرض. وهو الذي خلق لكم جميع ما في الأرض.

والاشتراك بين الناس جميعا في أحقية الانتفاع بضروريات الحياة أوجبته

الشريعة الإسلامية من منطلق المساواة في الإنسانية، ولذلك فيجب على المسلم أن يتعاون مع غيره في القيام بواجبات المحافظة على الكون ورعايته.

– وقال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [سورة الأعراف: آية ٢٤].

«ولكم» أي لجميعكم وتفيد عموم الإنسان.

«في الأرض» أي جميع الأرض وتفيد عموم المكان.

«مستقر» أي موضع استقرار وأمان تتوفر فيه الضروريات الحياتية، المادية من غذاء ومتنفس وحركة، والمعنوية من احترام وتكريم وحرية وعدل.

«ومتاع» أي موضع تتحقق فيه جماليات وتحسينيات تُوَفِّرُ للإنسان الراحة والمتعة في إقامته على الأرض.

«إلى حين» إلى انقطاع الدنيا، وتفيد امتداد الزمان.

والآية الكريمة جمعت كل مفردات الوجود المشهود، الإنسان والمكان والزمان وأصول الحياة والجمال.

والآية وإن جاءت في صيغة خبرية ولكن فيها إنشاء وأمر، فهي توجب على المسلم أن ينشر الاستقرار والأمن في الأرض، وأن يقوم بواجبه في إعمارها وتنمية مواردها، ولا يحتكر خيراتها بل يتشارك فيها مع بني البشر جميعا، على مستوى المكان وعلى مستوى الزمان، فلا يكدس هذا الانتفاع في مكان دون غيره أو يقصره على قوم دون غيرهم، وكذلك لا يستنفد هذا الخير في زمن فتأتي الأجيال من بعده فتعدم سبل الراحة والمتعة والاستقرار، فلا يمكنها القيام بواجباتها.

- قال تعالى: ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [سورة فصلت: آية ١٠].

والشاهد في الآية قوله: ﴿سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾. فكلمة سواء تشير إلى معاني المساواة، فالله ﷻ قدر في الأرض الأقوات والأرزاق للناس جميعا، بمعنى أنها لن تضيق بهم، ولن تعجز يوما عن كفايتهم، ولن تعطي سائلا وتمنع آخر، بل ستستجيب للجميع على سواء، .

ولم يجعل الله سبحانه عطاءه في الكون مرتبطا بالاختيارات العقائدية للإنسان، فالكون يعطي الإنسان بصفته إنسانا مخلوقا لله، يعطيه على قدر جهده وعلمه، وعلى قدر موافقته لسنن الكون وقوانين تسخيره، وليس الأمر مرتبطا بإيمان أو كفر؛ لأن الله تبارك وتعالى أراد من الإنسان أن يأتيه طوعا واختيارا، ولو شاء سبحانه أن يعنته لفعل، أو يجبره كغيره من المخلوقات لما تخلف.

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة التغابن: ٢].

وهو على كل شيء قدير؛ لأن نسبة ذاته المقتضية للقدرة إلى الكل سواء، هو الذي خلقكم خلقا بديعا حاويا لجميع مبادئ الكمالات العلمية والعملية، ومع ذلك فمنكم كافر أى فبعضكم مختار للكفر كاسب له، على خلاف ما تستدعيه خلقته، ومنكم مؤمن مختار للإيمان كاسب له حسبما تقتضيه خلقته، وكان الواجب عليكم جميعا أن تكونوا مختارين للإيمان شاكرين لنعمة الخلق والإيجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم، فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم

منه[1].

– قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [سورة البقرة: آية ١٢٦] .

قال ابن عباس: كان إبراهيم يحجرها على المؤمنين دون الناس، فأنزل الله ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أيضا أَرْزُقُهُم كما أَرْزُقُ المؤمنين، أَأَخْلِقُ خلقا لا أرزقهم، أُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. ثم قرأ ابن عباس ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾[2].

– وقال تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة هود: آية ٦].

– وقال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ [سورة طه: آية ١١٨].

وفيه تقرير حق الإنسان في الطعام والشراب والسكن، فهي ضروريات ينبغي توفيرها لكل إنسان لا يُحْرَم منها أحد.

– قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢- ١٣].

---

١ – تفسير أبي السعود ٨/ ٢٥٥.

٢ – تفسير ابن كثير ١/ ٢٣٦.

ثانيًا: من فقه حب الحياة حب الإنسان

أ - تقدير الإسلام للأخوة الإنسانية:

الأخوة الإنسانية هي رابطة مشتركة بين جميع الناس على اختلاف أجناسهم وأشكالهم وأديانهم، تنشأ من الاشتراك في أصل واحد والانحدار من أب واحد وأم واحدة، وهي رابطة أو علاقة بين الإنسان والإنسان أساسها السلام والتعاون والمحبة.

وقد يعضد هذه الأخوة الاشتراك في روابط أخرى كالدين أو الوطن أو الأسرة أو المهنة أو الثقافة أو اللغة أو المصالح المادية، وهذه الروابط تتكامل وتتعاضد ولا تتناقض، فلا تعارض بين انتماء الإنسان إلى وطنه وانتمائه إلى أسرته وانتمائه إلى الإنسانية، وهكذا يجب أن يكون الأمر، ولكن إن تقاطعت دوائر الانتماء أو تعارضت فعلى المسلم أن يقدم انتماءه للقيم والمبادئ والمصالح الكلية وأن يكون الأساس الجامع لدخوله وانتمائه لكل دائرة هو تحقيق السلام الاجتماعي وقيم المحبة والتعاون.

وفي سيرة النبي ﷺ وأصحابه مثال خلده القرآن الكريم وفصل ذكره في ست آيات من سورة النساء قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا * وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ

وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا * هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا * وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٠٥ - ١١٢].

فقد تعارضت دوائر الانتماء في هذه القصة، حيث حدثت سرقة بالمدينة واتهم بها أحد اليهود، ولكن جماعة المسلمين اكتشفوا براءة هذا اليهودي من السرقة، وعلموا أن الفاعل الأصلي هو أحد المسلمين، فإن قدموه لأقيم عليه حد السرقة وقطعت يده، رغبوا في التستر عليه وحمايته وتفويت العقاب اللازم توقيعه عليه، وترك المتهم غير المسلم يلقى مصيره ظلما، فنزلت آيات الوحي تدافع عن البريء، وتكشف خبث هذا الخلل في الانتماء والعصبية لغير الحق لغير القيم الأخلاقية، وتثبت لغير المسلم حقه في العدالة والحرية والأمان، وتجرم الغدر والخيانة والظلم.

﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾. ولا تكن لمن خان مسلما أو معاهدا في نفسه أو ماله ﴿خَصِيمًا﴾ تخاصم عنه وتدفع عنه من طَالَبه بحقه الذي خانه فيه.

فالظالم المعتدي وإن كان بيننا وبينه رابطة الدين، فإنه قد قطعها عندما أقدم على ما يخالف شريعة الإسلام (الدين)، وهم بقطع أواصر المجتمع وتهديد أمنه وسلامته ورباطه، فانتماؤه للدين لا يجيز له أن يدمر رباط الإنسانية

(القيم) ورباط الوطنية (المجتمع)، بل يمنع من ذلك ويعاقب عليه ولو استلزم الأمر مجاهدته والاستشهاد في سبيل رد الحقوق إلى أصحابها.

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

فالعدل والسلام أساس ومقصد تبنى عليه كل علاقة بين الإنسان والإنسان، ولا يجب أن يؤثر في هذه القيم أي رابط أو انتماء ولو كان الدين أو القرابة.

١ - وعن هذه الأخوة كان رسول الله ﷺ يقول في دبر كل صلاة: **«رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَىْءٍ أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ إِخْوَةٌ»**(١).

٢- ويقول ﷺ: **«إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِّ إِخْوَانًا»**(٢) .

ومعنى **«كُونُوا إِخْوَانًا»** أي اكتسبوا ما تصيرون به إخوانا، مما سبق ذكره وغير ذلك من الأمور المقتضية لذلك إثباتا ونفيا، وقوله **«عِبَادَ اللَّـهِ»؛** أي يا عباد الله، بحذف حرف النداء، وفيه إشارة إلى أنكم عبيد الله، فحقكم أن

---

١ - سنن أبي داود: ج٢/ص٨٣، ح١٥٠٨.

٢ - البخاري (كتاب النكاح. باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع) ١٩/٧، رقم (٥١٩٨).

تتواخوا بذلك. وقال القرطبي: المعنى كونوا كإخوان النسب في الشفقة والرحمة والمحبة والمواساة والمعاونة والنصيحة.[١].

٣ – وَعَنْ أَنَسٍ ﵁ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ **«لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»**[٢].

قال ابن العماد: الأَوْلَى أن يُحمل على عموم الأخوة حتى يشمل الكافر والمسلم، فيحب لأخيه الكافر ما يحب لنفسه من دخوله في الإسلام، كما يحب لأخيه المسلم الدوام عليه، ولذلك ندب الدعاء له بالهداية[٣].

٤ – وحينما اشتد الظلم والبغي من قريش على رسول الله وأصحابه من المؤمنين، أمر أصحابه أن يهاجروا إلى النجاشي ملك الحبشة النصراني، لأنه استشعر إنسانية في هذا الملك تدفعه إلى حماية المؤمنين وإنصافهم بصفتهم أخوة في الإنسانية، قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لاَ يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ، فَالْحَقُوا بِبِلاَدِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ»**.

قالوا: فخرجنا إليها أرسالا حتى اجتمعنا ونزلنا بخير دار إلى خير جار، أَمِنًّا على ديننا ولم نخش منه ظلما[٤].

---

١ – ابن حجر العسقلاني: فتح الباري **١٠٤٨٣**.

٢ – البخاري (كتاب الإيمان. باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه) **١٢/١**، رقم (**١٣**)، الترمذي (كتاب صفة القيامة. باب **٥٩**) **٤/٦٦٧**، رقم (**٢٥١٥**).

٣ – الشبرخيتي: الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين النووية ص٧٨، المطبعة الخيرية **١٣٠٤**هـ.

٤ – البيهقي: السنن الكبرى **٩/٩**. رقم (**١٧٥١٢**).

فملك الحبشة كما وصفه رسول الله لا يظلم أحدا بنفسه ولا يسمح بظلم في أرضه، والإسلام دعوة متفقة مع الفطرة ومع العقل ويكفيها أن تجد بيئة تنعم فيها بالحرية والأمان والعدل حتى تلقى قبولا من الناس.

ب - المساواة بين الناس:

إن الناس جميعا بمقتضى العقيدة الإسلامية التوحيدية عباد لرب واحد، فهم جميعا في مرتبة العبودية سواء أمام الله تعالى.

فالإيمان بالله الخالق وعبادته والتقرب إليه حق لجميع البشر، ولا سلطان لأحد من الناس على غيره فيه، ولا وساطة بين الخالق والمخلوق، فالجميع أمام الله متساوون وبينه وبينهم باب مفتوح في كل زمان ومكان.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِي وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [سورة البقرة: آية ١٨٦].

والمساواة في المنظور الإسلامي لا تعني أبدا القضاء على الاختلاف أو التمايز بين الناس؛ لأن الاختلاف سنة كونية من سنن الله في خلقه، وهو حقيقة واقعة في الخلق، ولا يمكن محوها أو التغافل عنها.

ولكن المساواة تعني العدالة، والعدالة تكون في عدم التفرقة بين إنسان وآخر سواء في النظرة أو المعاملة على أساس خِلقي يخرج عن فعل الإنسان واختياره.

وعليه فإنه يجب أن تطبق مفاهيم المساواة في الإنسانية في إطار من احترام الاختلاف والتمايز بين الناس وعدم الاعتداء على هويتهم الذاتية أو

محاولة مسخها أو محوها.

ويجب أن نفهم الاختلاف على أنه حق إنساني يجب احترامه، وإن محاولة أَطْرِ البشر جميعا على نموذج معين بمنطق القوة لمجرد اقتناعنا أن هذا النموذج أو ذاك هو الأصلح للحياة يعد اعتداء صارخا على حقوق الإنسان.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۞ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

فالاختلاف والتمايز إرادة لله في خلقه.

أما من حيث الشكل قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [سورة الروم: آية ٢٢].

وأما من حيث المنهج قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨].

أراد الله أن تتنوع المناهج والأسس، وأن يَصُبَّ جميعها في غاية واحدة وهدف واحد، وهو تحقيق الخير للإنسان والإعمار للكون.

قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ﴾ [سورة البقرة: آية ١٤٨].

وعليه فإن أوفق المناهج وأصلحها لتحقيق الخير للإنسان والصلاح للكون هو الأولى بالاتباع، وقد جعل الله ﷻ شريعة الإسلام هي المهيمنة على

ما عداها وهي القادرة على تحقيق ذلك الخير لعموم الإنسان في هذا الزمان وفي الأزمنة التالية عليه.

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾ [المائدة: ٤٨].

١ - قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

قال الطبري: وصف تعالى ذكره نفسه بأنه المتوحد بخلق جميع الأنام من شخص واحد، مُعَرِّفًا عباده كيف كان مُبْتَدَأُ إنشائه ذلك من النفس الواحدة، ومنبههم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة، وأن بعضهم من بعض، وأن حق بعضهم على بعض **واجب وجوب حق الأخ على أخيه؛ لاجتماعهم في النسب إلى أب واحد وأم واحدة**، وأن الذي يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض وَإِنْ بَعُدَ التلاقي في النسب إلى الأب الجامع بينهم مِثْلُ الذي يلزمهم من ذلك في النسب الأدنى، وعاطفا بذلك بعضهم على بعض ليتناصفوا ولا يتظالموا، وليبذل القوي من نفسه للضعيف حقه بالمعروف على ما ألزمه الله له[1].

٢ - وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا

---

١ - تفسير الطبري ٣/٥٦٥.

وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [سورة الحجرات: آية ١٣].

أي خلقكم أيها الناس من أصل واحد، ذكر واحد وأنثى واحدة، آدم وحواء.

والآية وإن جاءت في صيغة الخبر لكنها إنشائية اشتملت على أمر، فحواه: يا أيها الناس ذروا كل المعايير الفاسدة التي اعتبرتموها في تشريف الإنسان وتعظيمه، واحتكموا إلى المعيار السليم الذي يتحقق به النفع لجميعكم، وهو التقوى.

وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴾ [سورة الإسراء: آية ٧٠].

ذكرت الآية كرامة من الله الخالق تشمل جميع بني آدم مؤمنهم وكافرهم أبيضهم وأسودهم صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم، ولا يحق لأحد أن ينازع الإنسان هذه الكرامة أو يسلبه إياها؛ لأنها عطاء وجب له من خالقه، وهذه الكرامة يتساوى فيها الجميع وتوجب العدالة بين الجميع في الحقوق والواجبات.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ [سورة المائدة: آية ٨].

وقال تعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا

حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [سورة النساء: آية ٥٨].

وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ [سورة الحديد: آية ٢٥].

وفي الآيات عموم دلت عليه ألفاظ: **«قوم»**، **«الناس»**. فالعدل هو المقصد الأول من إرسال الرسل وإنزال الكتب إلى الناس.

٣ - عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ أَنْسَابَكُمْ هَذِهِ لَيْسَتْ بِسِبَابٍ عَلَى أَحَدٍ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ وَلَدُ آدَمَ، طَفُّ الصَّاعِ لَمْ تَمْلَئُوهُ، لَيْسَ لِأَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِالدِّينِ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ، حَسْبُ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فَاحِشًا بَذِيًّا بَخِيلًا جَبَانًا»**[1].

طَفُّ الصَّاعِ: الْمِكْيَالُ يَقْرُبُ أَنْ يَمْتَلِئَ فَلاَ يَفْعَلُ. وَالْمَعْنَى كُلُّكُمْ فِي الانْتِسَابِ إِلَى أَبٍ وَاحِدٍ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي النَّقْصِ وَالتَّقَاصُرِ عَنْ غَايَةِ التَّمَامِ، وَشَبَّهَهُمْ فِي نُقْصَانِهِمْ بِالْكَيْلِ الَّذِي لَمْ يَبْلُغْ أَنْ يَمْلأَ الْمِكْيَالَ.

٤ - وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فَقَالَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ - كِبْرَهَا وَتَجَبُّرَهَا - وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ، رَجُلٌ بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى اللهِ، وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى اللهِ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَخَلَقَ اللهُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ»**. قَالَ اللَّهُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ

١ - مسند أحمد ٢٨/٥٤٨، رقم (١٧٣١٣).

﴿أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].

٥ – وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ خُطْبَةَ الْوَدَاعِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلاَ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلاَ لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلاَ لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلاَ أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلاَّ بِالتَّقْوَى إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ[2].

٦ – وقال ﷺ: **«لاَ قُدِّسَتْ أُمَّةٌ – أَوْ كَيْفَ تُقَدَّسُ أُمَّةٌ – لاَ يَأْخُذُ ضَعِيفُهَا حَقَّهُ مِنْ شَدِيدِهَا وَهُوَ غَيْرُ مُتَعْتَعٍ»**[3] أَيْ غَيْرُ وَاقِعٍ فِي الحَرَجِ وَالضِّيقِ.

٧ – وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ»**. ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ: **«إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ**

---

١ – الترمذي (كتاب تفسير القرآن. باب من سورة الحجرات) ٥/٣٨٩، رقم (٣٢٧٠).

٢ – البيهقي: شعب الإيمان ٤/٥١٣٧ , ٢٨٩.

٣ – الهيثمي: مجمع الزوائد ٥/٣٧٥، وقال: رواه البزار والطبراني في الأوسط وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة لكنه اختلط وبقية رجاله ثقات.

أَقَامُوا عَلَيْهِ الحُدَّ، وَايْمُ اللهِّ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» (١).

ج - معاملة الإنسان بالرحمة والإنسانية؛ مسلمًا أو غير مسلم:.

الإسلام هو رسالة الرحمة، والرحمة فيه للعالمين. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: آية ١٠٧].

وفي الآية خبر وإنشاء، خبر يصرح بأن الرحمة في دين الإسلام تشمل المسلم وغيره، تشمل الإنسان والأكوان، فالإسلام رسالة إصلاح وخير وحرية ينتفع بما جاء فيها من آمن بها ومن أعرض عنها، فالكافر ينعم في حياته بالأمن والسلام والرحمة والخير بسبب مباشر من التزام المؤمنين بتعاليم الإسلام، وبسبب غير مباشر يكون الإسلام ركنا في إيجاده.

وأما الإنشاء في الآية فهو أمر لمن آمن برسالة الإسلام أن يجعلها رحمة للعالمين، يدخل بها الخير والمشاركة والانتفاع والرحمة للعالمين، يحفظ للإنسان كرامته وحقوقه في حفظ النفس والمال والعرض والدين سواء من آمن ومن كفر، وفي الآية نهي لمن تحمل رسالة الإسلام أن يصدر منه أي فعل مضاد للرحمة يصيب العالمين، فإن قام المؤمن بإيذاء أو فساد أو ضرر في كون الله فهو لم يجعل من الإسلام ومن بعثة سيدنا محمد ﷺ رحمة للعالمين كما أمرت الآية.

قال تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن

---

١ - البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء. باب حدثنا أبو اليمان) ٤/١٧٥، رقم (٣٥١٤). مسلم (كتاب الحدود. باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود) ٣/١٣١٥، رقم (١٦٨٨).

دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [سورة الممتحنة: آية ٨].

١- قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَضَعُ اللهُ رَحْمَتَهُ إِلاَّ عَلَى رَحِيمٍ»**. قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَكُلُّنَا رَحِيمٌ. قَالَ: **«لَيْسَ الَّذِي يَرْحَمُ نَفْسَهُ خَاصَّةً، وَلَكِنِ الَّذِي يَرْحَمُ النَّاسَ عَامَّةً!»**[١].

٢ - أمر النبي ﷺ بالرحمة العامة التي تشمل جميع المخلوقات فقال: **«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»**[٢] .

قال الطيبي: لأن الرحمة في الخلق رقة القلب، والرقة في القلب علامة الإيمان، فمن لا رقة له لا إيمان له، ومن لا إيمان له شقي، فمن لا يرزق الرقة شقي.

«من في الأرض» بصيغة العموم يشمل جميع أصناف الخلائق، فيرحم البر والفاجر، والناطق والمبهم، والوحش والطير[٣].

وقال ابن بطال المغربي (ت٤٤٩): فيه الحض على استعمال الرحمة للخلق كلهم، كافرهم ومؤمنهم، ولجميع البهائم. المملوك منها وغير المملوك. والرفق بها. وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب ويكفر به الخطايا، فينبغي لكل مؤمن عاقل أن يرغب في الأخذ بحظه من الرحمة، ويستعملها في أبناء جنسه وفى كل

---

١ - البيهقي: شعب الإيمان ٤٠٨/١٣.

٢ - سنن أبي داود: ج٤/ص٢٨٥، ح٤٩٤١.

٣ - المباركفوري: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٥١/٦، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر.

حيوان، فلم يخلقه الله عبثًا. ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي والتخفيف في الحمل وترك التعدي بالضرب[١].

وقال العارف البوني: فإن كان لك شوق إلى رحمة من الله فكن رحيما لنفسك ولغيرك، ولا تستبد بخيرك، فارحم الجاهل بعلمك، والذليل بجاهك، والفقير بمالك، والكبير والصغير بشفقتك ورأفتك، والعصاة بدعوتك، والبهائم بعطفك ورفع غضبك، فأقرب الناس من رحمة الله أرحمهم لخلقه، فكل ما يفعله من خير دق أو جل فهو صادر عن صفة الرحمة. [٢].

٣ - وقال ﷺ: **«ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ؛ وَيْلٌ لِأَقْمَاعِ الْقَوْلِ، وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ»**. [٣].

(ارحموا ترحموا) لأن الرحمة من صفات الحق التي شمل بها عباده، فلذا كانت أعلاما اتصف بها البشر، فندب إليها الشارع في كل شيء حتى في قتال الكفار والذبح وإقامة الحجج وغير ذلك. (واغفروا يغفر لكم) لأنه سبحانه وتعالى يحب أسمائه وصفاته التي منها الرحمة والعفو، ويحب من خلقه من تخلق بها. (ويل لأقماع القول) أي شِدَّة هَلَكَةِ من لا يعي أوامر الشرع ولم يتأدب بآدابه، والأَقْمَاعُ جمع قِمَعٍ: الإناء الذي يجعل في رأس الظرف ليملأ بالمائع، شَبَّهَ

١ - ابن بطال: شرح صحيح البخاري **٩/ ٢١٩**، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد.

٢ - المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير **٤/ ٤٣**.

٣ - مسند أحمد (مسند عبد الله بن عمرو)، والسيوطي في الجامع الصغير، والألباني في صحيح الجامع رقم (**٨٩٧**)، والسلسلة الصحيحة رقم (**٨٩٧**).

استماعَ الذين يستمعون القول ولا يَعُونَهُ ولا يعملون به بالأقماع التي لا تَعِي شيئًا مِمَّا يُفْرَغُ فِيهَا(١).

٤ – والمسلم في حالة الحرب والقتال لا يخلو فعله من الرحمة والإنسانية، فقد أهدى النبي ﷺ أبا سفيان تمر عجوة وبعث إليه بخمسمائة دينار ليوزعها على أهل مكة حين تولاهم القحط، كما أنه أمر ثمامة بن أثال أن يسمح بالميرة لقريش، فبعد أن منعها عنهم ثمامة بعد إسلامه كتبوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّكَ تَأْمُرُ بِصِلَةِ الرَّحِمِ وَإِنَّكَ قَدْ قَطَعْتَ أَرْحَامَنَا، وَقَدْ قَتَلْتَ الْآبَاءَ بِالسَّيْفِ وَالْأَبْنَاءَ بِالْجُوعِ. فَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَيْهِ أَنْ يُخَلِّيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْحِمْلِ(٢).

مما يبين رحمة رسول الله ﷺ بأعدائه من المشركين المحاربين.

٥ – وقال النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّ آلَ أَبِى لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِى، إِنَّمَا وَلِيِّىَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبُلُّهَا بِبَلاَلِهَا»**. يَعْنِى أَصِلُهَا بِصِلَتِهَا. (٣).

٦ – قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلاَّ كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلاَ يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَةً»**(٤).

وفيه الأمر بعمل الخير، وأن حصول الثواب مترتب عليه، وإن كان

---

١ – المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤/٤٢، دار المعرفة. بيروت، ١٩٧٢م.

٢ – ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٦٣٨.

٣ – صحيح البخاري: ج٥/ص٢٢٣٣، ح٥٦٤٤.

٤ – صحيح مسلم: ج٣/ص١١٨٨، ح١٥٥٢.

المستفيد بهذا الخير غير مسلم أو غير إنسان أصلا.

٧ - وَعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ»[١] .

وجهاد المسلمين أيضا هو من الرحمة والمحبة، فحقيقة الجهاد في الإسلام ليست نابعة من كراهية غير المسلمين، وإنما الجهاد فريضة إسلامية نابعة من المحبة، فالإسلام رسالة من رب العالمين إلى الخلق أجمعين، كلف المسلمون بتبليغها لهم لينتفعوا بما جاء فيها ويتبعوه، ولا يمكن تصور هذا الرسالة ضد مصلحة الخلق لأنها من الله الخالق.

وجهاد المسلم غير نابع أبدا من نفسية الصراع أو طلب السلطان أو شهوة المغالبة والكراهية والانتقام، وإنما هي رد لظلم ظالم أو اعتداء معتدٍ لأجل رده عن الظلم وردعه عن العدوان، فالجهاد معبر عن قيمة المحبة إن نظرنا إليه من زاوية أنه دفاع عن المقهورين أو المظلومين أو المسلوبين حريتهم وحقوقهم الإنسانية، وهو قيمة حب موجهة للظالم نفسه، لأنه أولا يوقف استمراره في ظلم الآخرين وثانيا لأنه يحمي الظالم نفسه من الآخرين إن وضع موضع الضعف أو الهزيمة.

قال تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا**

---

١ - النسائي في السنن الكبرى (كتاب الإيمان وشرائعه. باب صفة المؤمن) ٦/٥٣٠، رقم (١١٧٢٦).

مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ٧٥].

وفي الآية استفهام غايته أن يبيِّن العلة والغاية من الجهاد وهي استنقاذ المستضعفين من **أيدي من قهرهم وآذاهم وفتنهم في دينهم .**

قال تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** ﴾ [الحج: ٣٩].

والباء في «**بأنهم**» تعليلية، والمعنى: ولأنهم ظلموا كثيرا أُذِنَ لهم في الدفاع عن أنفسهم.

والجهاد في الإسلام ليس موجها لغير المسلم من حيث كونه مخالفا في العقيدة، فالإسلام لم يأمرنا أبدا بقتال غير المسلمين أو جهادهم لمجرد عدم قبولهم بدعوة الإسلام ودخولهم فيها، ولكن جهاد المسلم موجه ضد ظلم الظالمين واعتداء المعتدين وتجبر المتجبرين سواء وجه هذا الفساد ضده أو ضد غيره، وسواء كان الظالم مسلما أو غيره، وسواء كان المعتدى عليه مسلما أو غيره.

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «**تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ**».[1]

فالمسلم يجاهد دفاعا عن القيم الإنسانية والأخلاقية، دفاعا عن السلام

---

١ – صحيح البخاري:ج٦/ص٢٥٥٠، ح٦٥٥٢.

دفاعا عن الحق دفاعا عن الحرية..

وعَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ؟ قَالَ «**لاَ، وَلَكِنْ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ أَنْ يُعِينَ الرَّجُلُ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ !**»[١].

ولذلك فإن الجهاد في الإسلام له غاية ينتهي عندها وهي سيادة الأمن والسلام، ليس أمرا مستمرا مطلقا لا يتوقف، فالسلام أصل والجهاد طارئ يزول بعودة الأصل.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١] .

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ٩٤].

وقال تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٢-١٩٣].

قال تعالى: ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الزخرف: آية ٨٩].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [سورة

١ - ابن ماجه (كتاب الفتن. باب العصبية) ٢/١٣٠٢، رقم (٣٩٤٩).

البقرة: آية ١٩٠].

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [سورة الأعراف: آية ٥٦].

وقال تعالى: ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء: آية ٩٠].

فالجهاد في الإسلام تضحية بالنفس والمال من أجل الدفاع عن الحرية الدينية لمطلق الإنسان، ومن أجل تأمين حركة العلم والمعرفة التي تؤسِّسُ للاختيار الحر.

وما كان مطلب النبي ﷺ من جهاده قريشا وغيرها من المشركين إلا أن يتركوه وما اختار من عقيدة، ويخلي الرافض منهم لدعوته بينه وبين بقية الناس يدعوهم فإن اختاروا الإيمان فلا يفتنوهم فيه ولا يردوهم عنه.

قال ﷺ: **«يَا وَيْحَ قُرَيْشٍ لَقَدْ أَكَلَتْهُمُ الْحَرْبُ، مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ خَلَّوْا بَيْنِي وَبَيْنَ سَائِرِ الْعَرَبِ»**(١).

وحينما دخل رسول الله ﷺ مكة بعد ثمان سنوات من طرده هو وأصحابه منها، وقد أقدره الله على القوم الذين طالما تعنتوا في فتنته عن دينه وسلبه حريته، بل واعتدوا عليه في نفسه وعلى أصحابه، وكان رسول الله حينئذ قادرا على إكراههم على الإسلام لكنه قال لهم: **«مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ»**.

---

١ - مسند أحمد ٤/٣٢٣.

ولم يذكر ﷺ فيما ذَكَرَ: ومن دخل الإسلام فهو آمن ؛ لئلا يشعرهم وهم تحت سطوته أنه يرغمهم على الإسلام مقابل الأمن.

وقد بقي منهم بضعة وثمانون مشركا في مكة لم يسلموا، ولم يُظْهِرْ لَهُمُ النبيُّ وأصحابه أي عداوة أو إكراه، ولم يَلْحَقْهُمْ أيُّ أذًى أو اعتداء في أنفسهم أو أموالهم.

وقد جمعت آية واحدة استراتيجية الجهاد الإسلامي، وبينت أن الجهاد إنما هو انتصار للحق ورد للبغي والعدوان، وأنه لا اعتداء فيه وإنما معاملة بالمثل، ويحسن مقابلة السيئة بالحسنة والبغي بالعفو والصفح.

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ * وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ * إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ * وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [سورة الشورى: آية ٣٩-٤٣].

ثالثًا: من فقه حب الحياة حب الجماد

وتقوم العلاقة بين الإنسان والكون على التوافق والانسجام، فمنذ هبط الإنسان إلى الأرض وقد ارتبط تطوره العقلي والحضاري بحسن توافقه وتكيفه مع الآخر من حوله، وحسن استخدامه وانتفاعه بمفردات الحياة.

والمسلم يتعامل مع مخلوقات الله من منطلق الشعور بالمساواة معها والمشاركة في العبودية لإله واحد، فهو يتوجه بالحب إلى الله، ومن خلال ذلك الحب يتوجه بالحب إلى ما أبدع وصنع، ولذلك نراه يستوي عنده ضعف المخلوقات وقوتها، حقارتها وعظمتها؛ لأن نظره لا يتعلق بها بل يتعلق بخالقها القوي الحكيم، فالمسلم يقدس من عالم الأشياء المصحف والكعبة وقبر النبي محمد ﷺ ونحوها؛ لمكانتها عند الله ﷻ، وتقديسه لها يجمع بين الاحترام والحب.

أ – ولقد أعطى النبي ﷺ أصحابه درسًا في حب الجماد والتفاعل معه ومجاوبته حينما حن إليه الجذع ومال، فَعَنْ جَابِرٍ: «**كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَى جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ، وَكَانَ عَلَيْهِ، فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الْجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ الْعِشَارِ، حَتَّى جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا، فَسَكَنَتْ**»[١].

ب – وعندما مر النبي ﷺ على جبل أحد، وعلى الرغم من أنه كان

١ – صحيح البخاري (كتاب المناقب. باب علامات النبوة) ج٣/ص١٣١٤، ح٣٣٩٢.

موطنا أصاب المسلمين فيه قرحٌ وأصاب النبيَّ جرحٌ، واستشهد عليه عمه حمزة بن عبد المطلب فحزن النبي لذلك، إلا أنه أشار إليه وقال: «**هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**»[1] .

فالجبل أحب المسلمين، والمسلمون يحبون هذا الجبل، على الرغم من أن ما حدث في موقعة أحد كان أدعى أن يتشاءم المسلمون منه.

وفي موقف آخر يخاطب النبي ﷺ جبل أحد ويغمزه برجله حينما اهتز من تحته، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ قَالَ: «**اثْبُتْ أُحُدُ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدَانِ**»[2] .

ج – ولم يكن هذا الأمر من التفاعل مع الجماد في البيئة الإنسانية مقصورا في حياة رسول الله ﷺ بعد بعثته، بل وقبلها فقد قال ﷺ: «**إِنِّى لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّى لأَعْرِفُهُ الآنَ**»[3].

فالنبي يذكر أنه لم يتجاهل الحجر بعد البعثة، بل ظل يعرفه ويتعلق به، ليس إلا أنه مخلوق لله أحبه وعظمه، وكان يسلم عليه قبل بعثته مبشرا له ومعلما بما سَيُكَلَّفُ به النبي من تحمل الرسالة وأدائها.

ومثل ذلك: «**أَنّ رَسُولَ اللّـهِ ﷺ حِينَ أَرَادَهُ اللهُ بِكَرَامَتِهِ وَابْتَدَأَهُ بِالنّبُوّةِ**

---

١ – صحيح البخاري: ج٤/ص١٤٩٨، ح٣٨٥٥.

٢ – صحيح البخاري: ج٣/ص١٣٤٨، ح٣٤٨٣.

٣ – صحيح مسلم: ج٤/ص١٧٨٢، ح٢٢٧٧.

كَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَتِهِ أَبْعَدَ حَتّى تَحَسّرَ عَنْهُ الْبُيُوتُ وَيُفْضِي إِلَى شِعَابِ مَكّةَ وَبُطُونِ أَوْدِيَتِهَا، فَلَا يَمُرّ رَسُولُ اللّـهِ ﷺ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إلّا قَالَ: السّلَامُ عَلَيْك يَا رَسُولَ اللّـهِ»[١].

د – وفي ليلة الجن التي خرج فيها النبي ﷺ مع عبد الله بن مسعود، فاجتمع نفر من الجن يستمعون القرآن ثم انصرفوا إلى قومهم منذرين، سئل ابن مسعود من أخبر رسول الله بحضورهم، فقال: آذَنَتْهُ بِهِمْ شَجَرَةٌ[٢].

هـ – ولقد نبع الماء بين أصابعه الشريفة ﷺ وسبح الطعام بين يديه فسمعه أصحابه، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ الآيَاتِ بَرَكَةً، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَقَلَّ الْمَاءُ فَقَالَ: «اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ». فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللَّـهِ» فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهْوَ يُؤْكَلُ[٣].

و – وذراع الشاة المطهية تحدثت لرسول الله تحذره من السم الذي دسته اليهودية فيها، فَإِنَّ يَهُودِيَّةً مِنْ أَهْلِ خَيْبَرَ سَمَّتْ شَاةً مَصْلِيَّةً ثُمَّ أَهْدَتْهَا

١ – البيهقي: دلائل النبوة (باب مبتدأ البعث والتنزيل وما ظهر عند ذلك من تسليم الحجر والشجر وتصديق ورقة بن نوفل إياه)، ابن هشام: السيرة النبوية ص٢٣٣، ابن سعد: الطبقات الكبرى ١/١٥٧.

٢ – صحيح مسلم: ج١/ص٣٣٣، ح٤٥٠.

٣ – صحيح البخاري: ج٣/ص١٣١٢، ح٣٣٨٦.

لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الذِّرَاعَ فَأَكَلَ مِنْهَا وَأَكَلَ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ»**. وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ فَدَعَاهَا فَقَالَ لَهَا: **«أَسَمَمْتِ هَذِهِ الشَّاةَ؟»**. قَالَتِ الْيَهُودِيَّةُ: مَنْ أَخْبَرَكَ؟ قَالَ: **«أَخْبَرَتْنِى هَذِهِ فِي يَدِى»**. لِلذِّرَاعِ. قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: **«فَمَا أَرَدْتِ إِلَى ذَلِكَ؟»**. قَالَتْ: قُلْتُ: إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَنْ يَضُرَّهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنِ اسْتَرَحْنَا مِنْهُ. فَعَفَا عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ(١).

ز – وقد كان التراب سلاحا ناجعا استجاب لرسول الله ﷺ في غزوة بدر وغزوة حنين فعشي أعين المشركين.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّ الْمَلأَ مِنْ قُرَيْشٍ اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ فَتَعَاقَدُوا بِاللاَّتِ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةِ الأُخْرَى وَنَائِلَةَ وَإِسَافٍ لَوْ قَدْ رَأَيْنَا مُحَمَّداً لَقَدْ قُمْنَا إِلَيْهِ قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ فَلَمْ نُفَارِقْهُ حَتَّى نَقْتُلَهُ، فَأَقْبَلَتِ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ تَبْكِى، حَتَّى دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: هَؤُلاَءِ الْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ تَعَاقَدُوا عَلَيْكَ لَوْ قَدْ رَأَوْكَ لَقَدْ قَامُوا إِلَيْكَ فَقَتَلُوكَ، فَلَيْسَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلاَّ قَدْ عَرَفَ نَصِيبَهُ مِنْ دَمِكَ. فَقَالَ: **«يَا بُنَيَّةُ أَرِينِى وَضُوءًا»**. فَتَوَضَّأَ ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِمُ الْمَسْجِدَ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: هَا هُوَ ذَا. وَخَفَضُوا أَبْصَارَهُمْ وَسَقَطَتْ أَذْقَانُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، وَعَقِرُوا فِي مَجَالِسِهِمْ فَلَمْ يَرْفَعُوا إِلَيْهِ بَصَراً، وَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلٌ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَامَ عَلَى رُءُوسِهِمْ، فَأَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ فَقَالَ: **«شَاهَتِ الْوُجُوهُ»**. ثُمَّ حَصَبَهُمْ بِهَا فَمَا أَصَابَ رَجُلاً مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْحَصَى حَصَاةٌ إِلاَّ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ

١ – سنن أبي داود: ج٤/ص١٧٣، ح٤٥١٠.

كَافِراً[١].

وعن العباس بن عبد المطلب: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الْكُفَّارِ ثُمَّ قَالَ: **«انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ»**. فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلاً وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا .

وقال سلمة بن الأكوع وقد شهد مع رسول الله حنينا: فَلَمَّا غَشُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ عَنِ الْبَغْلَةِ ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الأَرْضِ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ فَقَالَ: **«شَاهَتِ الْوُجُوهُ»**. فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلاَّ مَلأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ[٢].

ح – ولم يكن تفاعل عالم الجماد مع رسول الله ﷺ مقصورا على العالم الأرضي، بل والسماوي فنجد القمر ينشق نصفين معجزة له، فَإِنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ.

قال الخطابي: انشقاق القمر آية عظيمة لا يعادلها شيء من آيات الأنبياء ؛ لأنه ظهر في ملكوت السماء، والخطب فيه أعظم، والبرهان به أظهر ؛ لأنه خارج عن جملة طباع ما في هذا العالم من العناصر[٣].

ط – وقد استجاب الله لنبيه فسخر السماء والسحاب لاستسقاءه ﷺ

---

١ – مسند أحمد: ج١/ص٣٠٣، ح٢٧٦٢.

٢ – صحيح مسلم: ج٣/ص١٤٠٢، ح١٧٧٧.

٣ – بدر الدين العيني: عمدة القاري شرح صحيح البخاري ١٦/ ٢٢٤، تحقيق عبد الله محمود، دار الكتب العلمية، ط١/ ٢٠٠١م.

من حينها، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَ الْمَالُ وَجَاعَ الْعِيَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا. فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً، فَوَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ ﷺ، فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ، وَمِنَ الْغَدِ، وَبَعْدَ الْغَدِ وَالذي يَلِيهِ، حَتَّى الْجُمُعَةِ الأُخْرَى، وَقَامَ ذَلِكَ الأَعْرَابِيُّ - أَوْ قَالَ غَيْرُهُ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَهَدَّمَ الْبِنَاءُ وَغَرِقَ الْمَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا. فَرَفَعَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: **«اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا، وَلاَ عَلَيْنَا»**. فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلاَّ انْفَرَجَتْ، وَصَارَتِ الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجَوْبَةِ، وَسَالَ الْوَادِى قَنَاةُ شَهْرًا، وَلَمْ يَجِئْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلاَّ حَدَّثَ بِالْجَوْدِ. وفي رواية: وَخَرَجْنَا نَمْشِي فِي الشَّمْسِ[١].

فالجماد له احترامه في تصور المسلم للوجود، وقد تعلقت كثير من العبادات بالمكان والزمان، وأوضح مثال على ذلك حركة المسلم في طوافه حول الكعبة، فإنها حركة تشبه كثيرا حركة النجوم والأجرام السماوية في أفلاكها حول مركزها، وتشبه أيضا حركة الإلكترونات في مساراتها حول النواة داخل الذرة، مما يعكس صورة رمزية لوحدة البناء بين أعظم المخلوقات وأدقها، فينطق بأنه سبحانه خالق كل شيء، وأن الكون عبارة عن مسجد كبير اشتركت فيه الكائنات سجودا وتسبيحا لخالقها.

والإنسان وجميع الموجودات خاضعون لقانون واحد وسنة واحدة

---

١ - صحيح البخاري: ج١/ص٣٤٤، ح٩٦٨.

تتحكم في تحركهم وسكونهم، وهذا النظام يعبر عن وحدة الخالق، وتظهر فيه سنن الله في خلقه. فلكل موجود ممكن دورة حياة، تبدأ بالوجود ثم النماء ثم الضمور فالموت، وهو أمر يصيب كل شيء من حولنا، سواء في ذلك الجماد والحيوان والإنسان، حتى النجوم والمجرات لها أعمار وآجال، بانتهائه تدخل في دورة حياة كائنات أخرى، وتفقد صورتها الأولى وتتحول إلى صور أخرى متعددة.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [سورة الروم: آية ٥٤].

فالموجودات تتشابه في أطوار التكوين وتتابعها بين الضعف والقوة والنقص والكمال، ولكل موجود أجل وعمر مقدر لا يتقدم عليه لحظة ولا يتأخر، ينتهي دوره في الكون بانتهاء أجله.

وكذلك فهناك تشابه في التكاثر بين المخلوقات، حيث خلق الله ﷻ من كل شيء زوجين متجاذبين تتولد الطاقة أو الحياة من التقائهما، فالحياة كلها تعتبر آية ساطعة على التوحيد تظهر على وجه الكائنات صغيرها وكبيرها.

قال تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: آية ٤٩].

رابعًا: من فقه حب الحياة حب النبات

١ - وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ»**. يَعْنِي: مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً فِي فَلاَةٍ يَسْتَظِلُّ بِهَا ابْنُ السَّبِيلِ وَالْبَهَائِمُ عَبَثًا وَظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ يَكُونُ لَهُ فِيهَا صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ(١).

٢ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلاَّ كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةً، وَلاَ يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلاَّ كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ»**(٢).

٣ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ نَصَبَ شَجَرَةً فَصَبَرَ عَلَى حِفْظِهَا وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا حَتَّى تُثْمِرَ كَانَ لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُصَابُ مِنْ ثَمَرَتِهَا صَدَقَةٌ عِنْدَ اللهِ ﷻ»**(٣).

٤ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ وَفِي يَدِهِ فَسْلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا»**(٤).

وفي أمر النبي حض على مواصلة العمل بلا ضجر أو إحباط.

---

١ - أبو داود (كتاب الأدب. باب في قطع السدر) ج٤/ص٣٦١ ح٥٢٣٩.

٢ - مسلم (كتاب المساقاة. باب فضل الغرس والزرع) ج٣/ص١١٨٩ ح١٥٥٢.

٣ - مسند أحمد ج٤/ص٦١ ح١٦٦٣٦.

٤ - مسند أحمد (مسند أنس بن مالك) ج٣/ص١٨٣ ح١٢٩٢٥.

خامسًا: مِنْ فِقهِ حُبِّ الحَيَاةِ حُبُّ الحيَوانِ والرِّفْقُ بِهِ

١ - قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ ؛ فَإِنَّ اللهَ إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُبَلِّغَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنْفُسِ، وَجَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فَعَلَيْهَا فَاقْضُوا حَاجَتَكُمْ»[١].

٢ - وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: **«أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفًا أَوْ حَائِشَ نَخْلٍ، قَالَ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ، فَسَكَتَ، فَقَالَ: مَنْ رَبُّ هَذَا الْجَمَلِ ؟ لِمَنْ هَذَا الْجَمَلُ ؟ فَجَاءَ فَتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: أَفَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللَّهُ إِيَّاهَا ؟ فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ»**[٢]؛ وَذِفْرَاهُ: أَصْلُ أُذُنَيْهِ.

٣ - وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْخِصْبِ فَأَعْطُوا الإِبِلَ حَقَّهَا، وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي الْجَدْبِ فَأَسْرِعُوا السَّيْرَ، فَإِذَا أَرَدْتُمُ التَّعْرِيسَ فَتَنَكَّبُوا عَنِ الطَّرِيقِ»**[٣].

---

١ - أبو داود (كتاب الجهاد. باب في الوقوف على الدابة) ج٣/ص٢٧ ح٢٥٦٧.

٢ - أبو داود (كتاب الجهاد. باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم) ج٣/ص٢٣ ح٢٥٤٩.

٣ - أبو داود (كتاب الجهاد. باب في سرعة السير) ج٣/ص٢٨ ح٢٥٦٩.

٤ – قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ، سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلاَ سَقَتْهَا إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلاَ هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ**»[١] .

٥ – قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الذي كَانَ بَلَغَ بِى، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا. فَقَالَ: «**فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**»[٢] .

٦ – قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ لآلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحْشٌ، فَإِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَعِبَ وَاشْتَدَّ وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا أَحَسَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ دَخَلَ، رَبَضَ فَلَمْ يَتَرَمْرَمْ مَا دَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْبَيْتِ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُؤْذِيَهُ[٣].

٧ – وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ التَّحْرِيشِ بَيْنَ الْبَهَائِمِ[٤].

٨ – وَعَنْ جَابِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بِحِمَارٍ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ:

---

١ – البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء. باب حدثنا أبو اليمان) ج**٣**/ص**١٢٨٤** ح**٣٢٩٥**.

٢ – البخاري ج**٢**/ص**٨٧٠** ح**٢٣٣٤**.

٣ – مسند أحمد (حديث السيدة عائشة) ج**٦**/ص**١١٢** ح**٢٤٨٦٢**.

٤ – أبو داود (كتاب الجهاد. باب في التحريش بين البهائم) ج**٣**/ص**٢٦** ح**٢٥٦٢**.

«أَمَا بَلَغَكُمْ أَنِّى قَدْ لَعَنْتُ مَنْ وَسَمَ الْبَهِيمَةَ فِي وَجْهِهَا أَوْ ضَرَبَهَا فِي وَجْهِهَا». فَنَهَى عَنْ ذَلِكَ(١).

٩ - وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُقْتَلَ شَىْءٌ مِنَ الدَّوَابِّ صَبْرًا(٢).

١٠- وَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ: **«لاَ تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا»**(٣).

١١ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ»**. (٤).

١٢ - وَقَالَ ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»** (٥).

(فإذا قتلتم) أي قَوَدًا قِصَاصًا، (فأحسنوا القتلة) أي هيئة القتل، والإحسان فيها اختيار أسهل الطرق وأقلها إيلاما (وإذا ذبحتم) أي بهيمة تحل (فأحسنوا الذبح) الذبح بالرفق بها، فلا يصرعها بعنف، ولا يجرها للذبح بعنف، ولا يذبحها بحضرة أخرى (وليرح ذبيحته) وإراحتها تحصل بسقيها

---

١ - أبو داود (كتاب الجهاد. باب في وسم الدواب) ج٣/ص٢٦ ح ٢٥٦٤.

٢ - مسلم ج٣/ص١٥٥٠ ح١٩٥٩.

٣ - مسلم ج٣/ص١٥٥٠ ح١٩٥٨.

٤ - صحيح مسلم (كتاب الأشربة. باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك) ج٣/ص١٥٤٨، ح١٩٥٥.

٥ - مسلم (كتاب الصيد والذبائح. باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة).

وإمرار السكين عليها بقوة ليسرع موتها فتستريح من ألمه.

قال الإمام النووي: وَهَذَا الْحَدِيث مِنْ الْأَحَادِيث الْجَامِعَة لِقَوَاعِد الْإِسْلَام. وَاللَّهُ أَعْلَم.

١٣ - وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَجُلاً أَضْجَعَ شَاةً يُرِيدُ أَنْ يَذْبَحَهَا وَهُوَ يُحِدُّ شَفْرَتَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَتُرِيدُ أَنْ تُمِيتَهَا مَوْتَاتٍ ؟ هَلاَّ حَدَدْتَ شَفْرَتَكَ قَبْلَ أَنْ تُضْجِعَهَا»**[١] .

١٤ - قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ قَتَلَ عُصْفُوراً عَبَثاً عَجَّ إِلَى اللهِ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْهُ يَقُولُ يَا رَبِّ إِنَّ فُلاَناً قَتَلَنِى عَبَثاً وَلَمْ يَقْتُلْنِى لِمَنْفَعَةٍ»**[٢] .

١٥ - وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الْحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرُشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: **«مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا ؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا»**[٣].

---

١ - الحاكم في المستدرك (كتاب الأضاحي) وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. والألباني في صحيح الجامع رقم (٩٣).

٢ - مسند أحمد (حديث الشريد بن سويد الثقفى) ج٤/ص٣٨٩، ح١٩٤٨٨.

٣ - أبو داود (كتاب الجهاد. باب في كراهية حرق العدو بالنار) ج٣/ص٥٥ ح٢٦٧٥.

سادسًا: من فقه حب الحياة حب الأرض والأوطان

إن العلاقة المتصورة في المنظور الإسلامي بين الإنسان والأرض لهي أدعى إلى الألفة والارتباط بينهما فضلا عن المحافظة والتنمية، أو الاقتصار على التفكر والتدبر، فالعلاقة بين المسلم والأرض تدور في ثلاثة مستويات، أدناها وأقربها مستوى الانتفاع بالتسخير وهو ما يتعلق بالجسد، وأوسطها مستوى التفكر والاعتبار وهو ما يتعلق بالعقل، وأعلاها مستوى المحبة والألفة وهو ما يتعلق بالروح.

أ – قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا * ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا * وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا * لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا﴾ [نوح: ١٧-٢٠].

فولاء الإنسان للأرض وحنينه إليها يشبه حنين الابن إلى أمه، فإنه منها خلق ومن خيرها يأكل ويشرب وفي أحضانها يدفن.

ب – قال تعالى: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

ج – وقال ﷺ: **«وتحفظوا من الأرض فإنها أمكم»**(١).

د – وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –ﷺ– كَانَ إِذَا اشْتَكَى الإِنْسَانُ الشَّىْءَ مِنْهُ أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جَرْحٌ قَالَ النَّبِىُّ ﷺ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا. وَوَضَعَ سُفْيَانُ

---

١ – الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١/ ٥٥٠، تحقيق عبد الله الدرويش، دار الفكر، ١٩٩٤م. وقال: رواه الطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف.

سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا. «**بِاسْمِ اللهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا بِرِيقَةِ بَعْضِنَا لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا**»(١) .

قال الإمام النووي: قَالَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاء: الْمُرَاد بِأَرْضِنَا هُنَا جُمْلَة الْأَرْض. وَقِيلَ: أَرْض الْمَدِينَة خَاصَّة ؛ لِبَرَكَتِهَا. وَالرِّيقَة أَقَلّ مِنْ الرِّيق. وَمَعْنَى الْحَدِيث أَنَّهُ يَأْخُذ مِنْ رِيق نَفْسه عَلَى أُصْبُعه السَّبَّابَة ثُمَّ يَضَعهَا عَلَى التُّرَاب فَيَعْلَق بِهَا مِنْهُ شَيْء، فَيَمْسَح بِهِ عَلَى الْمَوْضِع الْجَرِيح أَوْ الْعَلِيل، وَيَقُول هَذَا الْكَلَام فِي حَال الْمَسْح. وَاللَّهُ أَعْلَم.

وَقَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: قَدْ شَهِدَت الْمَبَاحِث الطِّبِّيَّة عَلَى أَنَّ لِلرِّيقِ مُدْخَلاً فِي النُّضْج وَتَعْدِيل الْمِزَاج، وَتُرَاب الْوَطَن لَهُ تَأْثِير فِي حِفْظ الْمِزَاج وَدَفْع الضَّرَر، فَقَدْ ذَكَرُوا أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُسَافِرِ أَنْ يَسْتَصْحِب تُرَاب أَرْضه إِنْ عَجَزَ عَنْ اِسْتِصْحَاب مَائِهَا، حَتَّى إِذَا وَرَدَ الْمِيَاه الْمُخْتَلِفَة جَعَلَ شَيْئًا مِنْهُ فِي سِقَائِهِ لِيَأْمَن مَضَرَّة ذَلِكَ(٢) .

إذن فهناك عاطفة تربط الإنسان بالأرض التي نشأ فيها وتربى، ولا نكير في ذلك، بل هو مما حض عليه الشرع وورد به، فذوو الفطرة السليمة يشعرون دائما بالشوق والحنين إلى أوطانهم ولا يشعرون بالألفة أو الطمأنينة قدر ما

---

١ - صحيح مسلم: ج٤/ص١٧٢٤ ح٢١٩٤.

٢ - النووي: شرح صحيح مسلم ١٤/١٨٥، المطبعة المصرية ط١/ ١٩٣٠م، وابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٣/١٧٦، تحقيق أبو قتيبة نظر الفاريابي، دار طيبة ط١/٢٠٠٥م.

يشعرون بها في بلادهم.

هـ - والقرآن يصور علاقة الألفة والمحبة التي تنشأ بين الأرض والسماء وبين الإنسان، حيث قال تعالى: ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩] .

وهذا انفعال بين الإنسان والأكوان، فقد روى الطبري عن سعيد بن جبير قال: أتى ابن عباس رجلٌ فقال: يا أبا عباس أرأيت قول الله تبارك وتعالى ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم، إنه ليس أحد من الخلائق إلا له باب في السماء منه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله، فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله وينزل منه رزقه بكي عليه، وإذا فقد مصلاه من الأرض التي كان يصلي فيها ويذكر الله فيها بكت عليه، وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض آثار صالحة، ولم يكن يصعد إلى السماء منهم خير، فلم تبك عليهم السماء والأرض.

و. والمواطنة من واطنه على الأمر مواطَنَة، وواطن القوم: عاش معهم في وطن واحد، والفعل واطن بمعنى شارك في المكان مولداً وإقامة؛ لأن الفعل على وزن فاعل.

عرفها الجرجاني بقوله: الوطن الأصلي هو مولد الرجل والبلد الذي هو فيه [١].

---

١ - التعريفات ٢٥٣.

وعرفتها دائرة المعارف البريطانية بأنها: علاقة بين فرد ودولة كما يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق متبادلة في تلك الدولة.

وعرف العرب في الجاهلية حب الوطن فكانت إذا غزَتْ، أو سافرتْ، حملتْ معها من تربة بلدها رملاً وعفرًا تستنشقه عند نزلةٍ أو زكام أو صداع(١).

وقد أعطت وثيقة المدينة حق المواطنة للمقيمين في المدينة من مهاجرين وأنصار ويهود وغيرهم ممن كان يسكن في المدينة وحولها، بصرف النظر عن العقيدة، وجعلت غير المسلمين في الدولة مواطنين فيها لهم من الحقوق مثل ما للمسلمين، وعليهم من الواجبات ما على المسلمين طبقاً للمبدأ الفقهي **«لهم ما لنا، وعليهم ما علينا»**؛ إذ على أساس قاعدة المساواة في الحقوق والالتزامات بين اليهود والمسلمين والنصارى وغيرهم تشكل المجتمع الإسلامي.

والبشر يألَفُون أرضَهم على ما بها، ولو كانت قفرًا مستوحَشًا، وحبُّ الوطن غريزةٌ متأصِّلة في النفوس، تجعل الإنسانَ يستريح إلى البقاء فيه، ويحنُّ إليه إذا غاب عنه، ويدافع عنه إذا هُوجِم، ويَغضب له إذا انتقص.(٢) .

قال الرازي شارحا قوله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]: إنَّ إِقْدَامَ الْكُفَّارِ عَلَى الْكُفْرِ وَعَلَى تَخْوِيفِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَلَى تَشْدِيدِ الْأَمْرِ عَلَيْهِمْ بِحَيْثُ صَارُوا مُلْجَئِينَ إِلَى تَرْكِ الْأَهْلِ وَالْوَطَنِ هَرَبًا مِنْ إِضْلَالِهِمْ فِي الدِّينِ،

---

١ - رسائل الجاحظ ص١٦٠.

٢ - محمد الغزالي: حقيقة القومية العربية ص٨٥.

وَتَخْلِيصًا لِلنَّفْسِ مِمَّا يَخَافُونَ وَيَحْذَرُونَ، فِتْنَةٌ شَدِيدَةٌ بَلْ هِيَ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ الَّذِي يَقْتَضِي التَّخْلِيصَ مِنْ غُمُومِ الدُّنْيَا وَآفَاتِهَا. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَا أَشَدُّ مِنْ هَذَا الْقَتْلِ الَّذِي أَوْجَبَهُ عَلَيْكُمْ جَزَاءً غَيْرَ تِلْكَ الْفِتْنَةِ. (١)

وقال في موضع آخر: وَمَعْلُومٌ أَنَّ مُفَارَقَةَ الْوَطَنِ أَصْعَبُ الْأُمُورِ فَنَفَّرَهُمْ عَنْهُ بِذَلِكَ، وَهَذَا نِهَايَةُ مَا يَفْعَلُهُ الْمُبْطِلُ فِي التَّنْفِيرِ عَنِ الْمُحِقِّ. (٢)

وقال الألوسي: والمحنة التي يفتتن بها الإنسان كالإخراج من الوطن المحبب للطباع السليمة أصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها، ومن هنا قيل:.

لقتل بحد سيف أهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق(٣)

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦].

فقد ساوى تعالى بين قتل النفس وبين الإخراج من الديار وهجر الأوطان.

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَكَّةَ **«مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ»**(٤).

١ - مفاتيح الغيب ٥/ ٢٩٠ طبعة دار إحياء التراث العربي ط٣.

٢ - مفاتيح الغيب ١٤/ ٣٣٩.

٣ - روح المعاني ١/ ٤٧١، طبعة دار الكتب العلمية ط١.

٤ - سنن الترمذي: ج٥/ص٧٢٣، ح٣٩٢٦.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [القصص: آية ٨]

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ قَالَ: إِلَى مَكَّةَ.(١)

وهذه الآية نزلت بالجُحْفَة لا بمكة ولا بالمدينة.

قَالَ مُقَاتِلٌ: إِنَّهُ عليه السلام خَرَجَ مِنَ الْغَارِ وَسَارَ فِي غَيْرِ الطَّرِيقِ مَخَافَةَ الطَّلَبِ، فَلَمَّا أَمِنَ رَجَعَ إِلَى الطَّرِيقِ وَنَزَلَ بِالْجُحْفَةِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَعَرَفَ الطَّرِيقَ إِلَى مَكَّةَ وَاشْتَاقَ إِلَيْهَا وَذَكَرَ مَوْلِدَهُ وَمَوْلِدَ أَبِيهِ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام وَقَالَ: تَشْتَاقُ إِلَى بَلَدِكَ وَمَوْلِدِكَ، فَقَالَ عليه السلام: **«نَعَمْ»**، فَقَالَ جِبْرِيلُ عليه السلام: فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ يَعْنِي إِلَى مَكَّةَ ظَاهِرًا عَلَيْهِمْ وَهَذَا أَقْرَبُ.(٢) .

وعن ابن شهاب الزهري رحمه الله تعالى قال: قدم أصيل الغفاري رضي الله عنه قبل أن يضرب الحجاب على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فدخل على عائشة رضي الله عنها فقالت له: يا أصيل كيف عهدت مكة. قال: عهدتها قد أخصب جنابها وابيضت بطحاؤها. قالت له: يا أصيل كيف عهدت مكة ؟ قال: والله عهدتها قد أخصب أجنابها وابيضت بطحاؤها، وأغدق إذخرها وأسلت ثمامها وانتشر سلمها فقالت: حسبك يا أصيل لا تُحْزِنا.

وفي رواية أشار إليها ابن حجر في الإصابة قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«ويها يا**

١ - تفسير الطبري ١٨/ ٣٥٠.

٢ - مفاتيح الغيب ٢٥/ ١٩.

أصيل دع القلوب تقر»[1] .

وأحب سيدنا محمد ﷺ المدينة موطنه الجديد الذي سكنه واستقر به:.

فعندما هاجر ﷺ إلى المدينة، كان يدعو اللهَ أن يرزقه حبَّها.

ففي الصحيحين: **«اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا»**[2] وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ – ﷺ – كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَنَظَرَ إِلَى جُدُرَاتِ الْمَدِينَةِ، أَوْضَعَ رَاحِلَتَهُ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّةٍ، حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا.

وأوضع أي حمل البعير على سرعة السير. قال الحافظ ابن حجر: في هذا الحديث دليل على مشروعية حب الوطن والحنين إليه[3] .

---

١ – الإصابة ١/ ٩٢.

٢ – صحيح البخاري: ج٥/ص٢٣٤٣، ح٦٠١١.

٣ – فتح الباري ٣/ ٦٢١ طبعة دار المعرفة.

الفَصْلُ الثَّانِي

معالم يظهر فيها فقه حب الحياة

معا لم يظهر فيها فقه حب الحياة

ما سبق من تفاصيل في الأدلة الشرعية يُظْهر أهمية الحب وأهمية بناء نموذج الحب الذي يفقه الحياة ويقدرها وسنتبع ذلك بتحديد بعض النقاط التي تشكل وعي المسلم الذي يعيش تبعا لنموذج الحب .

أولا : معرفة السنن الإلهية والمبادئ الربانية :

القرآن يشتمل على **١١٤** سورة تبدأ بالفاتحة وتنتهي بسورة بالناس، وأصغر سورة مكونه من **٣** آيات وهي الكوثر، وأكبرها من **٢٨٦** آية وهي سورة البقرة، ويشتمل على **٦٢٣٦** آية طبقا لرواية حفص عن عاصم، واشتملت آياته على مسائل العقيدة من توحيد ونبوات وأخبار اليوم الآخر، وعلى مسائل التشريع، وعلى مسائل القيم والأخلاق، وقصص الأنبياء وضرب الأمثال ووصف الإنسان والأكوان والأمر والنهي.

والمتدبر في القرآن يجد مجموعة من الآيات القرآنية تعبر عن مبدأ عام، أو تعبر عن سنة إلهية في الخلق والتدبير، وهذه المبادئ العامة إذا جمعت في نسق واحد ودرس ما بينها من علاقات بينية، لتمكنا من فهم المنهج الرباني في الخلق والأمر.

مفهوم المبدأ وخصائصه :

المبدأ: عبارة عن مصدر ميمي، والمصدر الميمي يصلح للدلالة على الزمان أو المكان أو الحدث، وهذا يعني أن كلمة (مبدأ) لغة تعني زمان البدء أو مكانه أو نفس البدء.

ويقصد به في كلامنا هنا: الحقيقة التي تهيئ الإنسان لفهم التكاليف الإلهية والالتزام بها.

والمبدأ يختلف عن الحقائق التي يخبرنا بها الله ﷻ في كلامه، مثل قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفتح: ١٤] وإنما هو يعبر عن مفاهيم مرتبطة بعملية التكليف والعمل.

والمبدأ يختلف أيضا عن الحكم الشرعي، حيث إن المبدأ يؤسس لمفاهيم وراء مجموعة متشعبة من الأوامر والأحكام، بينما الحكم يأتي في شكل مباشر وجزئي.

والمبدأ يختلف أيضا عن القاعدة الفقهية أو الأصولية من حيث المنشأ، فالقاعدة الفقهية نشأت بعد تفريع الفروع في الفقه الإسلامي، وكأنها قد جردت فروعا كثيرة وأخذت المشترك بينها وصاغته في صورة قاعدة مثل: (لا ضرر ولا ضرار)، (الأمور بمقاصدها)، (الشك لا يرفع اليقين)، (العادة محكمة) إلى آخر ما اهتمت به كتب القواعد الفقهية والأشباه والنظائر.

وكذلك القواعد الأصولية التي نشأت من تتبع اللغة العربية أو المصادر الشرعية مثل: (الاستثناء معيار العموم) و(الأمر للوجوب ما لم تصرفه قرينة تدل على غير ذلك) أو (النهي يقتضي الفساد) أو (المشترك لا يعم). إلخ مما نراه يرد في علم أصول الفقه.

خصائص المبدأ:

المبدأ يشتمل على حقيقة، وعلى تكليف مباشر، ولا معنى لوجوده من غير وجود الإنسان، فالإنسان هو موضوعه، والمبادئ القرآنية تحتاج إلى تتبع

واستقصاء مستقل، وبحث خاص فيما دار حولها في كلام أهل التفسير، ولكل مبدأ مكونات وأركان وشروط ومقدمات ونتائج وروابط متشابكة مع بقية المبادئ ومع بقية النصوص والأحكام، تلك الروابط هي التي تؤسس وتبني النموذج المعرفي للإسلام في مجالات الحياة: السياسية، والقانون، والاجتماع البشري، والتربية، والفكر، والعبادة، والعقيدة، والدعوة..إلخ.

فمن تلك المبادئ مثلا:

أ- قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فالعبارة القرآنية وإن جاءت في صياغة خبرية، تنبؤنا عن حقيقة الدين وأنه لا يقبل الإكراه، لأن حقيقته تقوم على الاختيار والطواعية، واليقين القلبي، والاقتناع العقلي بحقيقة العقيدة الإيمانية، ولكن ترتبط تلك الجملة الخبرية بالتكليف حيث إنها وفي ذات الصياغة تنشئ أمرا يتوجه إلى عموم المؤمنين بتلك الحقيقة، فما يترتب عليها أنه لا يجوز لكم أيها المؤمنون أن تكرهوا أحدا أو ترغموه على اعتناق دين دون آخر، فالهداية إلى الدين الحق أمر بيد الله وهو يملكه إن أراده فعله، ولكنه أراد أن يتعبد الإنسان بالاختيار بالمحبة والعقل، فلذلك يتوجب عليكم احترام إرادة الله من خلقه، وأن تجتنبوا أي شبهة لإكراه أحد أو إرغامه على دينكم، وليس ذلك فحسب ولكن المسلم مأمور بمفهوم ذلك المبدأ وتلك الآية القرآنية أن يجتهد ويجاهد من أجل أن يحقق لمطلق الإنسان مطلق الاختيار ومطلق الحرية لاعتناق الدين الذي يرغب فيه، وما شرع الجهاد إلا لتحرير الإنسان وتحرير عقله وتوجهه، حيث إنه قد تسلطت على الشعوب قوى قاهرة حالت دون معرفتهم بالحق

والحقيقة، وحالت إذ علموا الحقيقة أن يؤمنوا بها ويتصرفوا بمقتضى هذا الإيمان.

وقال تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون: ٦] .

ب- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

حقيقة وخبر وهو تكريم الله ﷻ للإنسان، وهي إنشاء وأمر يقتضي تكريم ما كرم الله وعدم إهانته، فكل اعتداء أو إهدار لكرامة الإنسان فهو مخالفة لأمر الله ﷻ بالتكريم لهذا الإنسان كما تنص الآية، فالمسلم يدافع عن كرامة نفسه وكرامة غيره أيضا بصفته إنسانا، ويمتنع عن إهانته لأن الإنسان خليفة الله.

ج – قوله تعالى: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ [الزمر: ٣].

وهذا المبدأ هو مبدأ التحرر الإنساني من الرق والعبودية لغير الله ﷻ، فالإخلاص لله في عبوديتنا له هو في حقيقته أمر ينال الإنسان بمقتضاه حريته، ويأخذ بمقتضاه أكثر ما يعطي، وما يعطيه فهو في المصلحة مردود إليه، لا يعود إلى ربه منه شيئا، والفائدة التكليفية التي تستنبط من هذا المبدأ كبيرة، فمثلا نفهم من الآية أن الدين لله هو صاحبه إن هدى إليه بعض خلقه فلا ينبغي أن يستطيلوا أو يمرحوا على بقية الخلق، بل يشكروا الله على ما هداهم ويؤدوا واجبهم في دعوة الناس والإحسان إليهم.

وهذا المبدأ يجعل المسلم لا يقبل من غيره دعوة العبودية والاسترقاق، فإن بغى عليه جبار أو أراده فرعون أن يكون عبدا رفض، رفض بمقتضى علمه وفهمه وتشربه لمعاني المبدأ: ألا لله الدين الخالص، أي ليس لأحد من

الخلق أن يصنع لنفسه دينا ويفرضه على الآخرين، وكذلك التشريعات المحرمة والمحللة لا يملكها أحد إلا الله فهي له خالصة.

أضف إلى ذلك نفهم من المبدأ الإخلاص في العبادة لله ﷻ، وعدم المراءة أو السمعة بها، فعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»**. صحيح البخاري الحديث رقم(١).

ولقد فرع الأصوليون من هذا المبدأ قاعدة كبرى وهي: **«الأمور بمقاصدها»**. وهي قاعدة واسعة، مما يبين شدة اتصال الفقه الإسلامي بمصادره.

ومن السنن الإلهية:

أ – سنة التكامل:

ومفهومها أن الله ﷻ هو المنزه عن أي نقص وعن كل عيب، بينما المخلوقات أجمعها الإنسان وغيره تفتقر إلى الكمال الذاتي، وإنما تؤدي عملها وتكاليفها بالتكامل مع غيرها، فحينما يدرك الإنسان تلك السنة فإنه يحرص على تحقيق التكامل مع غيره من الكائنات خاصة التي تلزمه في تحقيق مراد الله تعالى منه في الكون وهو عبادة الرب وعمارة الكون وتزكية النفس.

تشير آيات القرآن إلى سنة التكامل من خلال مجموعة من الآيات منها أن الله سبحانه خلق من كل شيء زوجين فقال: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات: ٤٩].

فالتكامل قرين السلام المجتمعي والأمن، لأن الإنسان إذا أدرك حقيقة التكامل في خلق الله وسنته، فإنه سيقيم علاقته مع الإنسان (الآخر) والجماد والشجر والحجر والحيوان على التعاون والترابط لا العداء والتنافر، على الاندماج والاتحاد لا على التنافر والسلب، مما يحقق صلاح البشرية وسعادتها.

ولا يتصور من المسلم بعد إدراكه لسنة التكامل أن يفسد في الأرض أو ينشئ صراعا وحربا فيسفك الدماء ويزهق الأرواح، حيث إن سنة التكامل قائمة على قبول الاختلاف والتنوع والتعدد، والاستفادة منه ضرورة لاستمرار الحياة على الأرض.

قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۖ ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةًۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

وفهم سنة التكامل يبقي على التنافس بين الناس في العمل والإبداع، وينحي الصراع والصدام فيما بينهم، فالتنافس هو الذي يبني الحضارات ويديمها وأما الصراع فهو يهدمها ويقضي عليها.

قال ﷺ فيما رواه عنه النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ: «**تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**».(١)

ب – سنة التدافع:

وهي سنة مأخوذة من قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥١].

التدافع ينشأ من حاجة الإنسان لأخيه الإنسان، وحاجته للعيش في مجتمع، والتدافع هو المنافسة والمزاحمة والاندماج، وهي ضد الانعزالية وهجر الحياة، وهي ضد اللامبالاة وهجر المسئولية وعدم تحمل الأمانة والخلافة.

قَالَ ﷺ: «**إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا كَانَ مُخَالِطًا النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الذي لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**»(٢).

وتكون سنة التدافع بجهاد المصلحين لأهل الشر والفساد في الأرض؛ وذلك لتحقيق الصلاح والاستقرار، ومنع الفساد.

والصراع أو المغالبة حسب سنة الدفع إنما يضطر إليها المسلم ولا يسعى

---

١ – صحيح البخاري: ج٥/ ص٢٢٣٨ ح٥٦٦٥.

٢ – سنن الترمذي: ج٤/ ص٦٦٢، ح٢٥٠٧.

إليها، قال ﷺ: «لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَّ الْعَافِيَةَ»[1].

والمسلمون بذلك يخالفون سنة اليهود الذين يسعون وراء الحروب ويشعلونها دائما كما قال تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤].

ج ـ سنة التوازن:

أشار إليها سبحانه في قوله: ﴿وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩].

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

والتوازن في خلق الله هو ما يحقق الأمان والاستقرار للإنسان في عيشه، وبدونه تختل معيشته ويهدد وجوده وبقاؤه في الأرض، وسنة التوازن سنة كونية وسنة قيمية، ونأخذ منها موقفنا من قضايا البيئة وموقفنا من قضايا الفكر، وموقفنا من مفهوم العدل وحقوق الإنسان والحيوان والنبات والبيئة.

ومفهوم التوازن وسنته يعتبر مبدأ أعلى في تطبيق التكاليف الإلهية والمحافظة عليها والالتزام بها، والتوازن يحتاج من الإنسان القاضي أو المفتي أو الحاكم أو المجتهد أن يدرك الواقع المعيش والظروف المحيطة التي تلزم

---

١ - صحيح البخاري: ج٦/ ص٢٦٤٤ ح٦٨١٠.

المكلف أن يحقق التوازن الإلهي فيها، فالتوازن مقصد يجب مراعاته في إتيان الإنسان بالضروريات والحاجيات والتحسينات، فمقصد الدين يجب أن يتوازن تحقيقه مع مقصد النفس ومع مقصد العقل ومع مقصد الكرامة ومع مقصد المال، بالهيئة الشرعية المرعية المستنبطة من الشرع.

يقول تعالى: ﴿ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: **٨٥**].

والتوازن هو التوسط بين الإفراط والتفريط في كل الأمور، وهذا التوسط هو من خصائص هذه الأمة المحمدية الخاتمة، يقول تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ [البقرة: **١٤٣**]. والوسط هو الأجود والمختار والأعلى كذلك، يقول ابن كثير في تفسيره «**والوسط هنا: الخيار الأجود، كما يقال: قريش وسط العرب نسباً وداراً، أي: خيرهم، وكان رسول الله × وسطاً في قومه، ولما جعل الله ﷻ هذه الأمة وسطاً خصها باكمل الشرائع، وأقوى المناهج، وأوضح المذاهب**». [1].

الوسطية أو التوازن تساهم في بناء المسلم متوازن النفس، متزن العقل، سليم الصدر، نافع لمجتمعه ووطنه، نتعلم منها الإنصاف، وقول الحق في الغضب والرضا، ونتعلم منها التفكير المستقيم، ونتعلم منها بناء العقلية

---

١ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير **١/ ٤٥٤**.

العلمية، وترك عقلية الانطباعات.

ثانيا: التفرقة بين المباح والمتاح:

إن أهل المحبة يفهمون جيدا الفرق بين المباح والمتاح، وهم يستعينون بهذا الفهم في تطبيق دين الله وأوامره في حياتهم.

وقد تكلم العلماء في لطائف في هذا الأمر وورد على ألسنتهم تحت مسميات مختلفة كالصحة والصلاحية، وحقيقة ذلك تتمثل في أن الأمر قد يكون مباحا في الشريعة صالحا في نفسه للتطبيق، ولكنه لا يصلح لزمان معين أو لمكان معين أو لحال معين لعرف أو عادة يضادها، فلا يجوز أن يهجم عليها المسلم لعلة كونها مباحا متغاضيا عن عدم الصلاحية للوقت أو المكان أو غير ذلك من الاعتبارات.

قال الشيخ الأحمدي الظواهري شيخ الجامع الأزهر الشريف: إن العالم لابد أن يوجد في كل شئ يلتصق به حتى زيه ولباسه ما يشير إلى حكمته وحسن تدبيره، فلا ترى في عمامته مثلاً أو بملابسه ما يشير إلى فساد في النظام أو ما يلفت إليه الأنظار على وجه ينافي الاحترام، فالعالم لابد أن ترى في مشيته وسكونه وإشارته بالتحية، وفي منظره إذا تبسم وفي منطقه إذا تكلم ما يشير إلى جلاله ووقاره وكمال عقله وحسن خلقه وأكثر ما ينبغي أن يكون ذلك في المحافل الرسمية ومجامع الناس أ.هـ[١].

ويستتبع التفرقة بين المباح والمتاح الحديث عن سلطة ولي الأمر أو

١ - العلم والعلماء ص ٢٩، الطبعة الثانية.

الحاكم المسلم المجتهد في أن يقيد المباح ويمنعه لزمان أو عن منطقة أو لحال وظرف استثنائي، وهذا لا يعد أبدا اعتداء على حرمة التشريع وإطلاق حق المولى فيه، بل هو من باب الترجيح والتحسين باختيار الأصلح للتطبيق لتيسير حياة الناس واستقرار الأمن الاجتماعي.

فالحاكم حتى وإن لم يكن مجتهدا ولا آخذا من مجتهد فيما يراه من التغيير والتبديل والتقييد للمباح في الأحكام الاجتهادية الظنية فإنه إذا ألزم بمباح فيه مصلحة عامة أو نهى عن مباح فيه ضرر عام وجب امتثال أمره ونهيه ظاهرا وباطنا، فيصبح أمره وجوبا شرعيا، لأنه مظهرٌ للحكم لا منشئ له، ولأن الشارع أمر بطاعته ما لم يأمر بمعصية، وحرم الخروج عليه وأوجب بره، مطلقا دون قيد الاجتهاد في الفقه.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَّ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَّ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي»**[١].

عَنِ ابْنِ عُمَرَ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ **«عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ**

---

١ - صحيح البخاري: ج٦/ ص٢٦١١، ح٦٧١٨.

فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ»[1] .

ولكن تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة كما قال الفقهاء، فيشترط لطاعة ولي الأمر ألا يأمر بمعصية متيقنة، وهذا يتناول المباح والمسائل الاجتهادية، والامتثال في المباح أمرا أو نهيا لا يترتب عليه معصية، فتجب طاعة ولي الأمر بفعله وتركه.

والمجتهد يجوز له أن يجدد أحكاما لم تكن معهودة في زمن النبي ﷺ ولا في زمن الصحابة بقدر ما يحدثه الناس من الأمور الخارجة عن الشرع، ولو وقعت في زمن النبي ﷺ أو في زمن الصحابة لحكموا فيها، وهذا مما يندرج في مجال تغير الأحكام ويجري في جميع أبواب الفقه.[2].

وقال القرافي: إن للمكلف نفسه أن ينشئ الوجوب فيما ليس بواجب كما في المنذور، الذي تنتقل به الطاعة غير الواجبة إلى الوجوب، وجعل الشارع الأسباب قسمين: منها ما قدره في أصل الشريعة، ومنها ما وكل إنشاء سببه إلى المكلف، بالنسبة لجميع الأحكام بما فيها المباح، فليكن الحاكم أولى بأن يعطيه الشارع سلطة الإنشاء لضرورة درء الفناء ودفع الفساد، وإخماد الثائرة وإبطال الخصومة، والدليل على ذلك إجماع الأئمة قاطبة أن حكم الله تعالى ما حكم به الحاكم في مسائل الاجتهاد، وأن ذلك الحكم يجب اتباعه على جميع الأئمة

---

١ – صحيح مسلم: ج٣/ص١٤٦٩، ح١٨٣٩.

٢ – حاشية العدوي ص٩٣٢، طبعة دار الفكر ١٩٩٤م.

ويحرم على واحد نقضه.[1].

وقال الأستاذ محمد سلام مدكور:

وقد يؤدي الاسترسال في البحث والنظر إلى أن لولي الأمر أن ينقل كل حكم من هذه الأحكام ـ أي الخمسة ـ إلى مقابليه، فينقل الوجوب إلى الإباحة أو التحريم، كما ينقل التحريم إلى الإباحة أو الوجوب، كما ينقل الإباحة إلى الوجوب أو التحريم. وكل هذا فيما لم يرد فيه نص قطعي أو حكم إجماعي، وإنما كان الحكم فيه ظنيا مبنيا على الاجتهاد بمقتضى القرائن والأمارات. [2].

وحكم الحاكم في مسائل الاجتهاد يرفع الخلاف، ويرجع المخالف عن مذهبه لمذهب الحاكم، وتتغير فتياه بعد الحكم عما كانت عليه، وحكم الحاكم في المسائل الاجتهادية لا ينقض، والحكم المجمع عليه كذلك لا ينقض. [3].

والأمثلة على ذلك كثيرة في تاريخ التشريع الإسلامي يعرفها الباحثون، وقد أوسعها العلماء بحثا وفهما، ولكنها تحتاج إلى مزيد استدلال واسترشاد، ونضرب أمثلة بما فعله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبان خلافته من الحَجْر على أعلام قريش وكبارها من السفر والخروج بعيدا عن المدينة إلا بإذنه، حتى يظلوا متماسكين مترابطين، محافظين على أوضاع تركها عليهم النبي صلى الله عليه وسلم.

---

١ – القرافي: تمييز الفتاوى عن الأحكام ص٤.

٢ – نظرية الاباحة عند الأصوليين ص٣٣٧. طبع دار النهضة ١٩٦٥م.

٣ – يراجع كلام القرافي في تمييز الفتاوى عن الأحكام ص٥١-٥٥.

وفعل معاوية بن أبي سفيان في الظاهر عكس ما فعل عمر بن الخطاب فقد أمر بترحيل العرب إلى الشام، لسبب آخر وهو انتقال عاصمة الخلافة إلى دمشق، وحتى يعتز بهم ويستفيد من وجودهم معه، وحتى يحصل الامتزاج والتعلم بين أهل الشام والعرب.

وغير ذلك من الأمثلة كمنع عمر كبار الصحابة من التزوج بالكتابيات وقال: أنا لا أحرمه ولكني أخشى الإعراض عن الزواج بالمسلمات. وفرق بين طلحة وحذيفة وزوجتيهما الكتابيتين، بالرغم أنه مباح بنص القرآن، ولكن منعه بسلطة الحاكم وولي الأمر لمصلحة الجماعة.

ونختم في هذا الصدد بكلمة شيخ الأزهر الشيخ المراغي حيث قال عن اجتهاد عمر بن الخطاب وتقييده للمباح من الرجعة للمطلقة ثلاث رجعات: والرجعة مباح من المباحات، وليست بواجبة، فعمر لم ينه عن واجب، وإنما نهى عن مباح للمصلحة.

ثالثا: دين الإسلام لا يعرف الكراهية، فاملأ قلبك بحب الله ولا تفسح مكانا لكراهية أحد.

أ. أُمِرْنَا بحب الله ﷻ وحب رسوله ﷺ.

وهذه المحبة فرض من جهة الإيمان، وينبغي على المسلم أن يكون حب الله ورسوله أعظم عنده من حب كل شيء حتى نفسه وولده وأهله، وحب الله ورسوله فرض من جهة المشاعر والوجدان وفرض من جهة السلوك والطاعة التي يستوجبها هذا الحب.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: **«أَحِبُّوا اللهَّ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ**

نِعَمِهِ وَأَحِبُّونِى بِحُبِّ اللهِ وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِى لِحُبِّى»[1].

وروى ابن إسحاق أن رسول الله ﷺ خطب بعد دخوله المدينة فقال: **«أَحِبُّوا مَا أَحَبَّ اللهُ أَحِبُّوا اللهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ وَلَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللهِ وَذِكْرَهُ وَلَا تَقْسُ عَنْهُ قُلُوبُكُمْ».** [2].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ: وَاللَّهِ لأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ نَفْسِى. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ».** فَقَالَ عُمَرُ: فَلأَنْتَ الآنَ وَاللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِى. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«الآنَ يَا عُمَرُ»**[3].

وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – قَالَ: **«فَوَالذي نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ»** [4].

وعن عائشة، قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله والله إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من أهلي، وأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت **فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك**، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة ورفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت

---

١ – سنن الترمذي: ج٥/ص٦٦٤، ح٣٧٨٩.

٢ – السيرة النبوية ١/ ٥٠١.

٣ – مسند أحمد: ج٤/ص٢٣٣، ح١٨٠٧٦.

٤ – صحيح البخاري: ج١/ص١٤، ح١٤.

الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد عليه النبي حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [سورة النساء: آية ٦٩].

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ رَجُلاً عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: اللَّهُمَّ الْعَنْهُ مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلاَّ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»** (١).

حب الله وحب رسوله معيار الإيمان، وعلى قدره يضاعف الثواب على العمل الصالح، وعلى قدره يكون العفو والصفح عن الذنب والمعصية.

ب . أمرنا نحن المسلمين بحب مخلوقات الله جميعا من حيث هي صنعة المحبوب، الحجر والشجر، الجماد والإنسان، ولكن حب كل الكائنات مستمد من حب الله ﷻ وحب رسوله فلا يبلغ أبدا في القلب درجة حبهما.

رابعا: الكراهية شر، ولم نؤمر بها في دين الإسلام:

الكراهية مفسدة تصيب قلب الكاره نفسه بالجمود وروحه بالعكر؛ ولذلك فإن الإسلام نهانا عن الكراهية لأي مخلوق، وكذلك نهانا عن محبة المفسدين أو الظالمين أو الكافرين، وأمرنا بكراهية أفعالهم لا ذواتهم، فالكافر

١ - صحيح البخاري: ج٦/ص٢٤٨٩، ح٦٣٩٨.

الذي ضل عن المنهج وإن اشتغل بالبناء والعمران الظاهر فالمسلم غير منشغل بكراهيته وغير مأمور بذلك بل مطالب بالرحمة والرفق وأداء واجب الدعوة إلى هذا الكافر ورجاء دخوله في رحمة الله، ولكنا نكره كفره نكره ظلمه نكره فساده، والخلاصة أنه لا يبلغ بنا عدم حب شخصه إلى الكراهية أبدا؛ لأنه في النهاية مخلوق لله عز وجل.

فالمحبة على ثلاث درجات: درجة **«محبة الله ورسوله»**، درجة **«محبة ما سواهما»**، درجة **«عدم المحبة، لا يجب»**. الأولى فرض، وهي مخصوصة ومتعينة لله ولرسوله، والثانية والثالثة المحاسبة والجزاء فيهما يتعلق بالسلوك المترتب عليهما، فمحل التكليف هو أداء الواجبات والحقوق.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ وَيَقُولُ: **«اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِى فِيمَا أَمْلِكُ، فَلاَ تَلُمْنِى فِيمَا تَمْلِكُ وَلاَ أَمْلِكُ»**. يَعْنِى الْقَلْبَ.(١).

يعني يقسم فيعدل بين زوجاته في الأمور المادية، وهذا هو محل التكليف، وأما المحبة القلبية فإنها بيد الله، فلا مؤاخذة عليها، طالما أن الحقوق أديت إلى أصحابها.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ رسول الله ﷺ: **«النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ**

---

١ - سنن أبي داود: ج٢/ص٢٤٢، ح٢١٣٤.

وَالذَّهَبِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا وَالأَرْوَاحُ، جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»[1].

وإن الله ﷻ أنزل على رسوله محمد بن عبد الله ﷺ رسالة الحب وهي القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، **فمن يحبه الله؟.**

يقول: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ويقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ويقول: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

ويقول: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ويقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ويقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

ويقول: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وفي مقابل الحب قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ﴾. ولم يرد في كتاب الله ﷻ أن الله يكره إلا الفعل، فمن لا يحبه الله؟.

يقول: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

وقال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

---

١ - صحيح مسلم:ج٤/ص٢٠٣١ ح٢٦٣٨.

وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ٥٧].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا﴾ [النساء: ١٠٧].

وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨].

وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤] .

وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠].

وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

وقال: ﴿۞لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ﴾ [النساء: ١٤٨].

ولم يتوجه كره الله ﷻ إلى مخلوق وإنما إلى فعله.

قال تعالى: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦].

وقال: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾ [الحجرات: ٧].

وفي الحقيقة فإن بغض الإثم والمعصية والشر ليس إلا معنى من معاني الحب والرحمة.

خامسا: احترام حق الإنسان في الحرية الدينية:.

لقد احترم الإسلام حرية الإنسان في اختيار العقيدة التي يرضاها.

١- قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة يونس: آية ٩٩].

فإرادة الله تعلقت بوجود هذه الحرية الدينية، وهو سبحانه قادر على سلبها الإنسان أنى شاء، ولكن حكمته ومشيئته اقتضت بقاءها واستمرارها.

وهذا يعني أن أي محاولة لسلب الإنسان حريته في الاختيار هي محادة لله ومضادة لمراده من خلقه، فالإكراه وهو سلب الحرية شيء في مقدور الله سبحانه، تعلقت إرادته بضده.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ مَشِيئَةَ قُدْرَةٍ لَقَسَرَهُمْ جميعا على الإيمان، ولكنه شاء مَشِيئَةَ حِكْمَةٍ، فَكَلَّفَهُمْ وَبَنَى أَمْرَهُمْ على ما يَخْتَارُونَ؛ لِيُدْخِلَ المؤمنينَ في رحمته، وَهُمُ المرادونَ بِمَنْ يَشَاءُ[1].

قال تعالى: ﴿ إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [الزمر: ٧].

اعلم أيها الإنسان أن الله سبحانه قادر على أن يرغمك ويكرهك على مراده الشرعي وهو الإيمان به وحده وعبادته دون سواه، واعلم أيضا أنه يريد الهداية لخلقه أجمعين ولذلك أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب وأيدهم بالمعجزات، وكلفهم الدعوة إلى الإيمان بالله وحده، وأمر عباده بالتوحيد ونهاهم عن الشرك، ولكن إرادة الله الكونية تعلقت بأن يكون الإنسان حرا مختارا، وتعلقت بألا يكره أحدا على مراده الشرعي.

﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي فأنى لك أن تتمنى

---

١ – الكشاف ١١٥٢/١.

إكراههم على الإيمان، وأنت بشر مثلهم، ليس لك عليهم سلطان أو منة خلق وتسخير، وليس في مقدورك إِنْ أردتَ إكراههم أَنْ تكرههم، فيا محمد ما كلفت أنت ومن اتبعك إلا البلاغ إلا الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .

٢- قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩] .

والمعنى: جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق إلا اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك، وجيء بلفظ الأمر والتخيير ؛ لأنه لما مُكِّنَ من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ما شاء من النجدين(١).

والآية صريحة في ترك الإيمان والكفر لمشيئة الإنسان بعد تبيين الحق له، وبهذا لا يكون هناك إكراه له على الإيمان بعقاب دنيوي يكرهه عليه. لأنه ليس له على الكفر إلا ما أعده الله له في الآخرة من النار التي يعذب بها على كفره في الدنيا، ولا شك أن تهديده تعالى له بهذا العقاب لا إلجاء فيه لأنه لا يؤمن به حتى يكون فيه إلجاء، وعلى فرض أنه يؤمن به فلا إلجاء فيه أيضا، كما يؤمن المسلم العاصي بعقاب الآخرة على معصيته ثم يقدم عليها باختياره، ولا يلجئه الإيمان بالعقاب عليها إلى تركها.(٢).

٣ - ولم يكلف الله ﷻ رسولا أو نبيا في كل الملل والشرائع أن يكره

١ - الزمخشري: الكشاف ٤/ ١٠.

٢ - الحرية الدينية للشيخ عبد المتعال الصعيدي ص٢٩.

الناس على الإيمان، ولكنه قصر وظيفة الرسول على البلاغ والإنذار والبشارة والبيان والدعوة والتربية والتزكية والتعليم، وما دام الأمر كذلك فإن من دون الأنبياء أولى ألا يكلفوا بإكراه الخلق أو التفتيش في نفوسهم وضمائرهم ومحاسبتهم على الإيمان والكفر.

قال تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَاۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴾ [سورة الشورى: آية ٤٨].

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سورة الفرقان: آية ٥٦].

قال تعالى: ﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾ [سورة الغاشية: آية ٢٢].

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ [سورة الإسراء: آية ٥٤].

وقال تعالى: ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [سورة النساء: آية ٨٠].

وقال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [سورة الكهف: آية ٦].

وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران: آية ١٢٨].

٤ - قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴾ [سورة هود: آية ٢٨].

وهو استفهام بمعنى الإنكار، أي لا يمكنني أن أضطركم إلى المعرفة بها

ولا يصح قبولكم لها مع الكراهة عليها[1].

والآيات تبين أن نبي الله نوح عليه السلام يقر لقومه بالحرية الدينية، ولكن المستكبرين منهم لم يُقَدِّر ذلك فيقر له بالحرية المماثلة.

٥ - وقال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٥٦].

سادسا: الوفاء بالعهود:

قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [سورة النحل: آية ٩١].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة: آية ٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [سورة المائدة: آية ١].

وقال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [سورة الإسراء: آية ٣٤].

- وقال صلى الله عليه وسلم: **«مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلاَ يَشُدُّ عُقْدَةً وَلاَ يَحُلُّهَا حَتَّى**

---

١ - تفسير القرطبي ٩/٢٥.

يَنْقَضِيَ أَمَدُهَا أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ»[1].

ونهى رسول الله ﷺ عن الغدر والخيانة، قال: **«لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُنْصَبُ لِغَدْرَتِهِ»**[2].

وفي أثناء صلح الحديبية يحكي الصحابي أبو رافع، قَالَ: بَعَثَتْنِى قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُلْقِىَ في قَلْبِىَ الإِسْلاَمُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّى وَاللَّهِ لاَ أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ أَبَدًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ: **«إِنِّى لاَ أَخِيسُ بِالْعَهْدِ وَلاَ أَحْبِسُ الْبُرُدَ، وَلَكِنِ ارْجِعْ فَإِنْ كَانَ فِي نَفْسِكَ الذي في نَفْسِكَ الآنَ فَارْجِعْ»**. قَالَ: فَذَهَبْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِىَّ ﷺ فَأَسْلَمْتُ[3].

والعهد يراعى مع الكافر كما يراعى مع المسلم، وأن الكافر إذا عقد لك عقد أمان فقد وجب عليك أن تؤمنه ولا تغتاله في دم ولا مال ولا منفعة[4].

وقال حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ: مَا مَنَعَنِى أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلاَّ أَنِّى خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِى، فَأَخَذَنَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ فقَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا. فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ مَا نُرِيدُ إِلاَّ الْمَدِينَةَ. فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلاَ نُقَاتِلُ مَعَهُ،

---

١ - سنن أبي داود (كتاب الجهاد . باب في الامام يكون بينه وبين العدو عهد فيسير اليه) ٢/٤٧٥، رقم ٢٧٦١.

٢ - صحيح البخاري (كتاب الجزية . باب إثم الغادر للبر والفاجر) ٢/٦٢٣، رقم ٣٢٢٤.

٣ - سنن أبي داود (كتاب الجهاد . باب في الإمام يستجن به في العهود) ٢/٤٧٤، رقم ٢٧٦٠، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود، حديث رقم (٢٣٩٦).

٤ - عون المعبود ٧/٣١١.

فَأَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ فَقَالَ: «**انْصَرِفَا نَفِى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ**»[١].

---

١ - صحيح مسلم: ج٣/ص١٤١٤ ح١٧٨٧.

أولاً: احترام حق الحياة

قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة: آية ٣٢].

فكأنما قتل الناس جميعا ؛ لأنه لا فرق عند الله بين نفس ونفس، ومن أحياها أي حَرَّمَ قتلَهَا واعْتَقَدَ ذلك فَقَدْ سَلِمَ الناسُ كلهم منه بهذا الاعتبار، ولهذا قال: ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾(١).

وإن كل نفس ككل نفس؛ وحق الحياة واحد ثابت لكل نفس. فقتل واحدة من هذه النفوس هو اعتداء على حق الحياة ذاته؛ الحق الذي تشترك فيه كل النفوس. كذلك دفع القتل عن نفس، واستحياؤها بهذا الدفع - سواء كان بالدفاع عنها في حالة حياتها أو بالقصاص لها في حالة الاعتداء عليها لمنع وقوع القتل على نفس أخرى. هو استحياء للنفوس جميعا ؛ لأنه صيانة لحق الحياة الذي تشترك فيه النفوس جميعاً(٢).

والإسلام ينظر إلى حياة الإنسان على أنها قيمة غالية يجب عليه أن يحافظ عليها، ولا يحق لإنسان أن يهدرها أو يعتدي عليها ولو كانت حياة نفسه.

تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

---

١ - تفسير ابن كثير ٢/ ٦٥.

٢ - تفسير الظلال ٢/ ٣٥٣.

ثانيًا: قبول النقض والاعتراض

نموذج المحبة يرى أن مسالمة الناس والرفق بهم والصبر على آذاهم فريضة دينية، ويرى مخالفة الناس له رحمة ونقدهم له سببا ودافعا لأن يتحقق من أمر نفسه ويعيد حساباته ويتدبر مفاهيمه واعتقاداته وأخلاقه، فيحسن خلقه ويجود حجته ويعدل خطأه ويحسن عرضه ودعوته لما يراه صوابا، فهذا النموذج يرى مخالفة الآخرين له أمرا حسنا يستحق الاحترام والتقدير وليست أبدا سببا في الصراع والمخاصمة، ولا دليلا على كونه على الحق وكونهم على الباطل.

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِى[1].

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- **«إِنَّ أَحَدَكُمْ مِرْآةُ أَخِيهِ فَإِنْ رَأَى بِهِ أَذًى فَلْيُمِطْهُ عَنْهُ»**[2].

وعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: **«الدِّينُ النَّصِيحَةُ»** قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: **«للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»**[3].

وفي مداومة الاستغفار والتوبة إلى الله تدريب للنفس البشرية على الإنابة والرجوع إلى الحق والإقرار به، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر الله سبعين

---

١ - سنن الدارمي: ج١/ص١٦٦ ح٦٤٩.

٢ - سنن الترمذي:ج٤/ص٣٢٥ ح١٩٢٩.

٣ - صحيح مسلم:ج١/ص٧٤ ح٥٥.

ثالثا: القرآن الكريم كتاب هداية للعالمين

نموذج المحبة جعل من القرآن الكريم كتاب هداية ورسالة رحمة للعالمين، تدبر معانيه ومناهجه على أنه جملة واحدة تحتاج إلى بذل الجهد والعناية والتحضير، حتى يصيغ منه دستورا ومنهج حياة قابل للتطبيق الناجح المبني على الفهم السديد.

فالقرآن رسالة من الله الواحد يفسر بعضها بعضا، وإن قوما قَطَّعُوا كلام الله ففهموه بالاجتزاء منه حسب أهوائهم لينطبق عليهم صفة اليهود الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض.

قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ﴾ [البقرة: ٨٥].

فعلى المسلم تبعا لنموذج المحبة أن يُحَكِّم القرآنَ في هواه ولا يَحْكُم القرآنَ بهواه، ويقرأه متجردا من كل تعصب، ويتحضر لقراءته بالأدوات اللازمة لفهمه كاللغة العربية، والقواعد الكلية، والمسائل المجمع عليها ، والمقاصد الشرعية، وتفسير الأئمة المجتهدين للنصوص الشرعية، ثم يهتدي بالكتاب إلى حسن الأخلاق والمعتقد.

فالقرآن رسالة إلى العالمين خوطب بها بنو آدم من آمن منهم ومن كفر، فهو يفتح أمام الإنسان مجالات العمل والاجتهاد والحياة السعيدة، ويعطي هدايته لكل من يقبل عليه مخلصا، وليس في كتاب الله أسرار أو كهنوت يحتكر

قوم فهمه أو تفسيره دون آخرين.

والإسلام نسق مفتوح، وهو دين دعوة ينظر للعالم كله على أنه أمة واحدة، منهم من آمن فكان من أهل الإجابة ومنهم من كفر فكان من أهل الدعوة. والنظام الذي أتى به الإسلام يمكن للإنسان عموما الانتفاع بما فيه وتطبيقه، فإن المقاصد التي سعت الشريعة الإسلامية إلى تحقيقها هي مقاصد كل نظام يهدف إلى سعادة الإنسان وصلاح حاله، والأحكام في الشرعية كلها دارت على خمسة مقاصد كلية وهي حفظ النفس والدين والمال والنسل والكرامة.

قَالَ رسول الله ﷺ: «سَيَكُونُ فِتَنٌ الْمَخْرَجُ مِنْهَا كِتَابُ اللَّهِ، كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، هُوَ الذي مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنِ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، فَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ وَهُوَ الذي لاَ يَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ وَلاَ تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلاَ يَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، وَهُوَ الذي لَمْ يَنْتَهِ الْجِنُّ إِذْ سَمِعُوهُ أَنْ قَالُوا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ هُوَ الذي مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِىَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»(١).

---

١ - سنن الدارمي: ج٢/ص٥٢٦، ح٣٣٣١.

رابعًا: العبادة جزء غير منفصل عن الحياة

العبادة جزء من الحياة الصالحة، والعمل الصالح يعني كل معروف وكل نفع لخلق الله.

قال ﷺ: **«أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعا»**(١) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:**«إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، الْمُلْتَمِسُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ الْعَيْبَ»**. (٢) .

وَعَنْ أَبِى ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلاَلِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبَصَرُكَ لِلرَّجُلِ الرَّدِىءِ الْبَصَرِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»**(٣) .

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ**

---

١ - المعجم الأوسط:ج٦/ص١٣٩ ح٦٠٢٦.

٢ - الطبراني: المعجم الأوسط ٨/ ٣٤١، رقم (٧٦٩٣).

٣ - الترمذي (كتاب البر والصلة. باب ما جاء في صنائع المعروف) ٤/ ٣٣٩، (١٩٥٦).

أَطْعَمَ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﵁: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا أَنَا بِسَائِلٍ يَسْأَلُ، فَوَجَدْتُ كِسْرَةَ خُبْزٍ فِي يَدِ عَبْدِ الرَّحْمَانِ، فَأَخَذْتُهَا مِنْهُ، فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ(١).

فالعبادة معنى ومبنى، المعنى هو المقصد وهو المستفاد منها، وهو العائد الذي يترسخ في وجدان العابد وأخلاقه وسلوكه، وأما المبنى فهو الأركان والهيئات والشروط.

فالصلاة إن أديت بشروطها وأركانها فهي تُسْقط الفريضة عن الإنسان، ولكنها إن لم تزجر مؤديها وتمنعه عن فعل الفواحش وارتكاب المنكرات فإن أجرها ضائع عليه.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلا بعدا»**(٢).

وكذلك الصيام إذا لم يصرف صاحبه عن قول الزور والعمل به فقد ضاع أجره.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ». (٣).

---

١ – أبو داود (كتاب الزكاة . باب المسألة في المساجد) ٢/٣٧٦، رقم (١٦٦٧). الحاكم في مستدركه (كتاب الزكاة) ١/٥٧١، رقم (١٥٠١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

٢ – المعجم الكبير:ج١١/ص٥٤ ح١١٠٢٥، ومسند الشهاب:ج١/ص٣٠٥ ح٥٠٩.

٣ – صحيح البخاري: ج٢/ص٦٧٣، ح١٨٠٤.

ويوم القيامة يأتي الإنسان المسلم الذي تمسك بمباني العبادة وذهل عن معانيها. ولم يجعلها مؤثرة في سلوكه. مفلسا.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: **«الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِى يَأْتِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِى قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»**[١].

فيجب أن تكون عبادة الله تربية للضمائر وتهذيبا لها، وأن تكون طاقة للروح تبعثها على حسن الأخلاق وحسن السلوك والإحسان في معاملة الخلق أجمعين.

والعبادة من حيث هي معبرة عن التدين مطالب بها كل مسلم، وأما الدين من حيث هو علم فإنه مطالب به ويتخصص له من استعد له واستحضر أدواته، وكانت عنده الموهبة والملكة والقدرة الذهنية لتعلمه ودراسة مسائله.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢].

﴿طَآئِفَةٌ ﴾ أي بعض المؤمنين وليس كلهم.

والدين يتميز بالثبات فهو حقائق وعلوم وأما التدين فهو سلوك يعبر

---

١ - صحيح مسلم:ج٤/ص١٩٩٧ ح٢٥٨١.

عن فهم المرء للدين وطريقة التزامه له، وهو أمر يتغير ويختلف من شخص إلى آخر ومن زمن إلى آخر ومن حال إلى آخر.

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا: **«يَا عَائِشَةُ لَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ فَهُدِمَ، فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ وَأَلْزَقْتُهُ بِالأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ بَابًا شَرْقِيًّا وَبَابًا غَرْبِيًّا، فَبَلَغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ»**.

يقول الإمام النووي رحمه الله: فِيهِ دَلِيلٌ لِتَقْدِيمِ أَهَمِّ الْمَصَالِحِ عِنْدَ تَعَذُّرِ جَمِيعِهَا[1].

وَفِيهِ أيضا تَرْكُ مَا هُوَ صَوَابٌ خَوْفَ وُقُوعِ مَفْسَدَةٍ أَشَدَّ، وَاسْتِئْلَافُ النَّاسِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَاجْتِنَابُ وَلِيِّ الْأَمْرِ مَا يَتَسَارَعُ النَّاسُ إِلَى إِنْكَارِهِ، وَمَا يُخْشَى مِنْهُ تَوَلُّدُ الضَّرَرِ عَلَيْهِمْ فِي دِينٍ أَوْ دُنْيَا، وَتَأَلُّفَ قُلُوبِهِمْ بِمَا لَا يُتْرَكُ فِيهِ أَمْرٌ وَاجِبٌ، كَمُسَاعَدَتِهِمْ عَلَى تَرْكِ الزَّكَاةِ وَشِبْهِ ذَلِكَ، وَفِيهِ تَقْدِيمُ الْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ مِنْ دَفْعِ الْمَفْسَدَةِ، وَجَلْبِ الْمَصْلَحَةِ، وَأَنَّهُمَا إِذَا تَعَارَضَا بُدِئَ بِرَفْعِ الْمَفْسَدَة.[2].

فنموذج المحبة يريد أن يعيش حياة النبي ﷺ وأن يستن بسنته ويتبع منهجه في الحياة والعبادة، ولا يقف عند مفردات عصر النبي ﷺ التي تغيرت، حتى يتمكن من تطبيق دين الله ويتفاعل مع حياة الناس في مختلف العصور والأماكن، فالحياة ساحة لممارسة الإيمان بالله والعمل بدينه، وهذا يكون بالحوار المتحضر والانفتاح والمرونة في الأفكار وتقبل التغير في الأحوال

---

١ - شرح النووي على صحيح مسلم ٩/ ٩٠.

٢ - شرح الزرقاني على الموطأ ٢/ ٤٤٨.

والأشخاص والأزمان، ويكون باحترام قيم الجمال والإبداع وتقدير الفنون والمواهب الإنسانية (الرسم ـ الزخرفة ـ الموسيقى ـ الشعر ـ الأدب..).

والمسلم يعيش حسب نموذج معرفي واضح المعالم له أسس ودعامات بناءة، يميز الفرق بين النسبي والمطلق، ويرى الحياة مجال تنافس لا صراع، ويرى اختلاف الناس وتنوع مشاربهم طاقة للتكامل والتعاون، ويعرف جيدا من أين بدأ، وما يفعل في هذه الدنيا، وإلى أي شيء يصير.

الفَصْلُ الثَّالِث

فقه الحياة بين نموذجين

نموذج المحبة ونموذج الكراهية

فقه الحياة بين نموذجين
نموذج المحبة ونموذج الكراهية

والفرق بين النموذجين نلاحظه في أسلوب التفكير وطريقته سواء في قضايا الدين أو الدنيا.

فالنموذج المتطرف يتسم بـ **«الجمود الفكري»**.

الجمود على الأفكار التي وضع لها قواعد مسبقة ورسم لها إطارا محددا، ويجب ألا تخرج جميع القضايا الواقعة أو المستجدة عما رسمه في ذهنه من أطر؛ وهذا الجمود يصحبه تشبث يصل بصاحبه إلى الجنون أو الازدواجية في الشخصية؛ بسبب عدم المرونة، وعدم تقبل أن يظهر أمر مخالف لما أَصَّلَه ورسخه في عقله لسنوات، فهو أشبه بشخص وضع في عقله حجرا وقفل عليه بقفل وألقى مفتاحه في جب عميق.

ويدفع الجمود الفكري إلى رفض الانتقاد وعدم تقبله.

فالانتقاد إذا وجه لهذا الشخص المتطرف الذي يعيش حسب نموذج الكراهية يعدُّه تحطيما لعقله تمامًا، وينظر إليه على أنه صراع أو محاربة وتدمير لذاته، ولا يرد الانتقاد إلا بالعنف والرفض القاطع؛ لأنه رسخ في عقله أن ما عليه هو دين الحق، وهو دين الله ذاته، وأن أي عداوة توجه لما هو عليه هي في الأساس موجهة إلى الدين، فالمنتقد له هو عدو الله وعدو الدين.

أضف إلى ذلك ما تراه من التعالي والغرور الذي يصاب به هذا الشخص المتطرف في تصوراته الدينية، مما يوصله إلى الاعتقاد بدونية الآخرين وعدم

صلاحيتهم لانتقاده أو التعديل عليه؛ لأنه يظن أنهم بذلك يعدلون على الله الخالق العليم الذي أحسن كل شيء خلقه، وأنى لبشر أن يبلغ مكانة العلم الإلهي الذي حصله ـ بظنه ـ واستمده وأقام نفسه عليه.

نظرة المتطرف إلى الآخرين المخالفين أو المنتقدين:

يرى المتطرف أن الآخر يكرهه بسبب أنه على الحق الراسخ المتين وليس لعيب فيه أو في شخصه، ويتقمص هذا المتطرف شخصية المسلمين في النموذج المكي حيث الاضطهاد والتعذيب من قريش، فيرى الآخرين من حوله على صورة أبي لهب أو أبي جهل الذين ناصبوا سيدنا محمدا ﷺ العداء وعذبوا أصحابه ليردوهم عن دينهم، فالآخرون في نظره يعبدون أوثانًا ولا يؤمنون بالإله الذي يؤمن به وإن كانوا مسلمين، فهو قال للأمر الإلهي سمعنا وأطعنا، ومن حوله ـ في تصوره ـ قالوا سمعنا وعصينا.

فهو يرمي من حوله بالكفر أو النفاق، فهم يصدون عن سبيل الله إذ يقاومونه، وهم يتولون إذ يأمرهم بما يأمرهم به من اتباعه على دين الحق، فهم إن يريدون إلا فرارا، وأما هو فمن الثابتين الذين أطلقوا لحاهم كفريضة، ولبسوا النقاب كفريضة، والآخرون من حوله يتشبهون بغير المسلمين فيحلقون اللحى ويرغبون عن العفة والستر فيخلعون النقاب.

ينظر المتطرف إلى نفسه وقد تماهى مع الدين الذي لم ير له إلا وجها واحدًا، وهو ما هو عليه وأقرانه، وعليه: فإن أي تغيير في رؤيته يسمى بدعة أو انحرافا أو تساهلا أو نفاقا أو رياء أو تقية أو تحريفا للكلم عن مواضعه، وهكذا.

التفكير المستنير فقه حب الحياة:

وأما النموذج الآخر فنموذج أهل المحبة، فإنهم:

١ - يؤمنون دائما بأنه فوق كل ذي علم عليم، وأن الله هو القادر، وهو الواحد الذي أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا.

٢ - وهم دائما يتهمون أنفسهم بالنقص والتقصير في حق الله وفي حق أنفسهم وفي حق الآخرين.

٣ - تجدهم دائما يتقدمون إلى التي هي أحسن، إلى الفضيلة إلى الترقي والتزكية، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦١].

وذلك لأنهم قاموا بتطبيق منهج الإسلام في حياتهم دون الالتفات إلى المظاهر الفارغة الزائفة.

فقد كان سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وهو أكمل الخلق وأقربهم إلى الله وأحسنهم خُلُقًا وعبادة يستغفر ربه دائما على كل حال، ويعد له أصحابه في اليوم الواحد أو المجلس الواحد أكثر من سبعين استغفارا.
عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «واللهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً».(١)

١ -صحيح البخاري:ج٥/ص٢٣٢٤ ح٥٩٤٨.

وعن ابن عمر - رضي الله عنه - قال: **« إنْ كنَّا لنعُدُّ لرسولِ الله - صلَّى الله عليه وسلم - في المجلسِ الواحِدِ مئة مرةٍ : رَبِّ اغفِر لي وتُب عليَّ، إنَك أنتَ التَّوابُ الرحيم»**.[1]

والاستغفار والتوبة الدائمة ترسخ في وجدان العبد التواضع والخضوع لله وحده، والرحمة بخلق الله خاصة أهل المعصية والخطيئة.
وكان ﷺ يقول فيما رواه عنه أنس بن مالك: **«كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»**.[2]

وطالما كل ابن آدم خطاء فليرحم أحدكم أخاه (حيث أباكم واحد)، فلا يتعالى ولا يتكبر بطاعة، لأنه ما من آدمي إلا ويخطئ.

وفي حديث الغامدية التي أتت رسول الله ﷺ فاعترفت بالزنا مرة بعد مرة وطلبت أن يطهرها بإقامة الحد عليها، أَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِحَجَرٍ فَرَمَى رَأْسَهَا، فَتَلَطَّخَ الدَّمُ عَلَى وَجْنَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ فَسَبَّهَا، فَسَمِعَه النَّبِىُّ -ﷺ- فَقَالَ: **«مَهْ يَا خَالِدُ، لاَ تَسُبَّهَا، فَوَالذي نَفْسِى بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مَكْسٍ لَغُفِرَ لَهُ»**.

---

١ - سنن أبي داود: ج٢/ص٨٥، ح١٥١٦.

٢ - سنن الترمذي:ج٤/ص٦٥٩ ح٢٤٩٩.

ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّى عَلَيْهَا يَا نَبِىَّ اللَّهِ وَقَدْ زَنَتْ! فَقَالَ: **«لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ وَهَلْ وَجَدْتَ تَوْبَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا للهِ تَعَالَى»**.(١)

وكان ﷺ يَقْبَل من أصحابه النصح في أمور الدنيا، فحينما سأله الحباب بن المنذر: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ أَمَنْزِلًا أَنْزَلَكَهُ اللهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدّمَهُ وَلَا نَتَأَخّرَ عَنْهُ أَمْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ؟ قَالَ بَلْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ؟ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ فَإِنّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلِ فَانْهَضْ بِالنّاسِ حَتّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ. فَنَهَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ النّاسِ فَسَارَ حَتّى إذَا أَتَى أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ نَزَلَ عَلَيْهِ(٢).

وحينما أشار على قوم من أهل المدينة يلقحون النخل بأنه بأمر الله ينتج لا بتلقيحهم، فأحجموا عن العمل على تلقيح النخل فشاص حصادهم، قال: **«إِنَّمَا هُوَ ظَنٌّ ظَنَنْتُهُ إِنْ كَانَ يُغْنِى شَيْئاً فَاصْنَعُوا؛ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، وَالظَّنُّ يُخْطِئُ وَيُصِيبُ، وَلَكِنْ مَا قُلْتُ لَكُمْ قَالَ اللهُ ﷻ فَلَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللهِ»**.(٣)

فكان هذا الموقف تعليمًا لهم بأن أمور الدنيا عليهم أن يجتهدوا ويعملوا خبرتهم وعلمهم فيها، فعلم الزراعة وفنونها لم تكن مهنته ﷺ ولم تكن أرض

---

١ - صحيح مسلم:ج٣/ص١٣٢٤ ح١٦٩٦.

٢ - سيرة ابن هشام ١/ ٦٢٠.

٣ - مسند أحمد:ج١/ص١٦٢ ح١٣٩٩.

مكة أرض زراعة حتى يُحَصِّلَ خبرة فيها، فهذا مسلك رسول الله ﷺ ومن تبعه على نموذج المحبة.

وأما نموذج النابتة الذي بلينا به في عصرنا الحديث فإن أحدهم إن راجعته وقلت له: اتق الله وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين، أشاح بوجهه وولى مدبرا ناكصا على عقبه متبعا غيه وفساده، فصدق فيه قول ربنا: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ * وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [البقرة: ٢٠٤ – ٢٠٨].

فإن قوله معسول في ظاهره، فهو يدعو إلى الله وإلى الإسلام وإلى تطبيق الشريعة الربانية وإلى إقامة الخلافة الإسلامية وغير ذلك، ولكنه ألد الخصام، لأنه يهجم بغير وعي ولا علم فيسعى في الأرض فسادا يقتل ويحرق ولا يسمع لنصح ولا هداية.

وفي مقابل ذلك نجد نموذج المحبة والذي يعمل ابتغاء مرضات الله ﷻ، فلا تأخذه نفسه بحمية أو عصبية فيرجع إلى الحق ويقف عليه، ويثبت، ولا تأخذه لومة لائم؛ لأنه زكى نفسه وهذبها، فلم يكن لها نصيب أو حظ في سلوكه أو

تصرفه، فنموذج المحبة يهتدي بهدي رسول الله ﷺ ومحجته البيضاء الناصعة التي قال فيها: **«الدِّينُ النَّصِيحَةُ»**. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: **«للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»**.[1]

والنصيحة تكون بالمعروف، وبإخلاص ابتغاء وجه الله، يرجو صاحبها أن يصلح الله حال المسلمين ويوفق أئمتهم وولاة أمورهم، ويهدي عامتهم للخير والعمل الصالح.

قال رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فيما رواه عنه أبو هريرة: **«إِنَّ أَحَدَكُمْ مِرْآةُ أَخِيهِ فَإِنْ رَأَى بِهِ أَذًى فَلْيُمِطْهُ عَنْهُ»**.[2]

وكل ذلك جعل نموذج المحبة إن نُصِحَ بالحق يستجب ويكن لينا في يد إخوانه، سرعان ما يرجع إلى العقل والحكمة والمحجة البيضاء، فهو كالمرآة المصقولة التي تعالج وتصلح، بعكس ما يفعله نموذج الشر والكراهية فإنه يفضح الآخرين ويذيع عوراتهم، ويشمت فيهم ويسخر منهم، ويفرح بوقوع الأمة في الخسارة، وكأنه يقول: أحسن. تستحقون ذلك إذ لم تجعلوني رأسكم ورئيسكم وسيدكم، فأنا العالِم التقي الورع، الذي إن حِدْتُم عني واخترتم غيري أصابكم الله بالفقر والفشل والمهانة.

فإن نموذج الكراهية هو نموذج المرض نموذج العند والبطر، يرجو

---

١ - صحيح مسلم:ج١/ص٧٤ ح٥٥.

٢ - سنن الترمذي:ج٤/ص٣٢٥ ح١٩٢٩.

فشل الأمة حتى ترجع نادمة تستعطفه أن ينقذها، ما فكر صاحب هذا الفكر المعوج أن يكون أداة بناء بدلا من أن يكون أداة هدم، ما فكر أن يقدم النصيحة ويبذلها فيكون صاحب دين كما أمر سيدنا رسول الله ﷺ، ينصح ولاة الأمر وينصح الرعية لوجه الله لا يرجو من وراء ذلك سلطانا ولا جاها، ينصح فلا يفضح، يذيع الخير ويفرح به ويبشر به، ويعالج المساوئ ويسترها، وينصح بالراجح والسديد.

العقلية الفارقة والعقلية الساذجة. العقلية العلمية والعقلية الخرافية.

نتتقل إلى نقطة أخرى وهي امتلاك نموذج المحبة للعقلية الفارقة، واستحواذ العقلية الخالطة على نموذج الكراهية، نوضح ذلك فنقول: .

العقلية الفارقة هي حالة منهجية تميز وتفرق بين الأمور المتشابهة، وتبحث في عمق الأشياء وليس ظاهرها، فهي على العكس تماما من العقلية الهشة، وقد حرص مشايخنا الذين تربينا على أيديهم في الأروقة الأزهرية على أن يسلكوا بنا طريق العقلية الفارقة، حيث كانوا يفرقون لنا بين العلم وبين المعارف العامة التي تسمى ثقافة، فالعلم منهج وقواعد وكتاب وأستاذ، والمعرفة العامة أو الثقافة تقف عند المستوى السطحي للأمور ولا تصل للمستوى العميق أو المستنير.

فكنا مع مشايخنا في مجالس العلم نقف عند كل حرف من الكلمة، فالحرف الواحد نقف عنده ونبحث علاقته بما بعده وبما قبله، وهل نشأت تلك العلاقة لاتصاله بالفعل أم لاتصاله بالاسم.. إلخ، فيتبين لنا الفرق بين: ضرب ويضرب وضربًا، وأن كلمة «ضرب» فعل، وأنه فعل ماضي، والفعل

الماضي هو الذي يدل على الحدث في زمن سابق، ثم ننتقل إلى الحدث فنسأل عن ماهيته، فإن كان الحدث هو «**ضرب**» فهو يحتاج إلى «**ضارب**»؛ أي: فاعل، و«**مضروب**»؛ أي: مفعول به، وحدث: وهو «**الضَرْب**»، وأن يكون كل ذلك في زمان الماضي؛ أي أن هناك أربعة عناصر تستخرج من كلمة واحدة، فبمجرد قراءة كلمة «**ضرب**» ينطبع في ذهن صاحب العقلية الفارقة أربعة عناصر.

ونبحث في الحدث فنسأل: هل الحدث يوجد في الذهن أم خارجه؟ أم أن الذي في الذهن صورته وليس هو؟ فأجد أن هناك حدثين؛ أحدهما: في الخارج، وهو حقيقة الضرب، والآخر: في الذهن، وهو صورة ذلك الضرب، فينشأ من ذلك تساؤل آخر وهو: هل الأساس في الحدث صورته المنطبعة في الذهن أم حقيقته الواقعة في الخارج في اشتقاق كلمة «**ضرب**»؟ فنجد أن هناك خلافا بين أهل اللغة في ذلك؛ فالكوفيون يقولون: إن أصل الاشتقاق الفعل، والبصريون يقولون: إن أصل الاشتقاق الحدث ويسمونه مصدرا، فينشأ من ذلك لدينا تفرقة أخرى، وهي: أن هناك فرقا بين المصدر وبين الفعل، ونظل ندرس ونتعلم هكذا، وكل هذه المراحل هي التي تكوِّن «**العقلية الفارقة**»، وتبنى فهمًا عميقًا ننطلق منه لاستنباط الأحكام، واستنباط نظام للتوفيق بين المتشابهات، والتفرقة بين المختلفات كالتفرقة بين الظني والقطعي، المتواتر والآحاد، وبين العملي والعلمي، وبين الثابت والمتغير، وبين الواجب والمندوب والمكروه والمباح والمحرم.

ويظهر من ذلك المنهج أهمية بناء العقلية الفارقة القادرة على التمييز بين

الدين والتدين والعلم والمعلومات، وهكذا، إنه أمر يحتاج إلى صبر وترتيب ومدرسة وأدوات ومناهج وأستاذ إلى غير ذلك.

أما الشخص المتدين الذي عكف على كتاب يحصل منه معلومات فحفظها ورددها لا يمكن وصفه بالعالم أو نصدره لتعليم الآخرين، فنأخذ منه وإن قرأ مائة كتاب، لأنه لم يصبر ويتلق مثل هذه العقلية الفارقة في علوم الشريعة، ويمر بكل تلك المراحل لاستخراج المعلومة؛ لذلك فتحصيل المعلومات ليس هو العلم إطلاقا.

فمثلا في مجال الطب كان يصدُر في مصر مجلة اسمها **«الدكتور»**، ثم لحقها عدة مؤلفات طبية كـ**«طبيبك الخاص»**، و**«الكتاب الطبي»** وهكذا، فإذا ما جاء شخص وحفظ كل ما كتب في هذه الكتب من معلومات طبية، فهل يصير بذلك طبيبا!؟ بالطبع لا، لا يمكن له أن يكون طبيبا حتى ولو حفظ كل المعلومات الطبية تلك، ولابد أن يذهب ليتعلم الطب في مدرسته وعلى يد أساتذته المدربين المؤهلين لذلك، فيتعلم التشخيص السليم ووصف الدواء المعالج، وهذا طريق للعلم له أركان وقواعد كما قلنا.

إن المنظومة التعليمية لها أركان ودرجات، فأركانها: الطالب، والأستاذ، والمنهج، والكتاب، والجو العلمي المحيط به، ودرجاتها: التربية، والتعليم، والتدريب. ولابد أن تكتمل هذه الأركان والدرجات، وإذا ما حدث خلل في عنصر من العناصر؛ كما لو كان الطالب لا يتحلى بآداب طلب العلم، أو كان الأستاذ جاهلاً بمادته مثلاً، أو غير محيط بطرق تربيته، أو كان الكتاب أو المنهج مختلا، فالخلل في أي عنصر من هذه العناصر، أو في أي درجة من هذه

الدرجات الثلاث؛ يُحدث خللا في المنظومة ككل، فلا تكتمل العقلية الفارقة.

والمشكلة التي يعاني منها نظام التعليم، سواء في الأزهر الشريف، أو في التعليم العام، في مرحلة ما قبل الجامعي، أو التعليم العالي، سببه خلل في أركان المنظومة التعليمية، ومضى على ذلك زمن بلا إصلاح؛ ونقول: لا نهضة لنا ولا قوة ولا حراك إلا بالتعليم، وقد نهضت أمم كثيرة بدأت بالتعليم مثل: شيلي وكوريا وجنوب أفريقيا وإسبانيا، فتقدموا وحُلت جميع مشاكلهم.

وليست العقلية الفارقة حكرا على أهل العلم والاختصاص، ولكن قد. للاحتمال . ينبغ شخص وتتكون لديه عقلية فارقة طالما امتلك مؤهلاتها من فطنة وذكاء وصبر وملكة وغير ذلك، ولكن نقول: هم درجات في المعرفة، ويبقى لأهل العلم والاختصاص المرجع في التصدر، فيمكن لأي إنسان تلقَّى العلم أن يتحلى بالعقلية الفارقة لكن بدرجات مختلفة، ويلزمه الرجوع إلى أهل الذكر فيسألهم ويستشيرهم، امتثالا لأمر ربنا: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

فمن كان في حاجة إلى العلاج يذهب إلى الطبيب، أو إلى البناء يذهب إلى المهندس وهكذا، والعقلية الفارقة تجعل الإنسان لا يعترض على ما لا يعلم، بل يسأل ليعلم ويتعلم، وتجعله يقصد العالم الذي شَهِدَ له العلماء.

ومن صفات المسلم الرباني، ذي التفكير العميق المستنير، أنه صاحب عقلية فارقة لا خرافية ولا هشة.

فالأئمة الكبار كالشافعي والنووي ومن قبلهم الصحابة الكرام لم يبنوا علومهم إلا على الحقائق، وكان لديهم نظام للتوثيق والتثبت، حتى إن الله قد

ألهم هذه الأمة واحدا وعشرين علمًا لكي تعرف التوثيق والتثبت وكيفية الرواية، سواء في نقل القرآن الكريم أو السنة المطهرة أو مقالات الأئمة، وكل هذا بالأسانيد المتصلة المقروءة والمحققة، والتي جعلت عقل المسلم ليس خرافيًا ولا هشًا، بل عقلاً علميًا متثبتًا.

وحتى يكون الإنسان ممتلكا لعقلية فارقة في علوم الشريعة يجب عليه:.

أولا: أن يكون له شيخ، والشيخ يقوم تجاهه بوظيفتين: الأولى الأستاذية، وفيه يعلمه ويرشده إلى طريق البحث العلمي، والثانية التربية والتزكية، حتى يستقيم سلوكه مع معارفه ولا يتناقض سره وعلانيته فيأمر بالمعروف ولا يأتيه وينهى عن المنكر ويأتيه، فالشيخ هو وسيلة لانتقال المعارف والخبرات المتراكمة، والتزكية ركن من أركان بناء العقلية الفارقة.

ثانيا: الترقي في العلم والبلوغ إلى نهاية ما وصلت إليه النظريات والأفكار والمفاهيم والخلافات والجدل والإجماع، حتى تكون بدايته صحيحة واجتهاده صادقا، يبدأ مما انتهى إليه الآخرون ويوفر على نفسه وقتا وجهدا في بحث ما تم بحثه بالفعل ولم تعد هناك فائدة منه، وإلا لو بدأ الإنسان من أول العلم سيكون كمن أراد أن يبدأ بما بدأ به إديسون من اكتشاف البخار لتسير القطارات بالبخار بعدما أصبحت تسير بالطاقة الشمسية.

ثالثا: الحرص على إتمام أركان العلم حتى لا يقع في الخلل، فلتحصيل العلم أركان وقد ذكرها الإمام الشافعي رضي الله عنه في قوله:.

أخي لن تنال العلم إلّا بستّة   سأنبيك عن تفصيلها ببيان

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وصحبة أستاذ وطول زمان

وأما العقلية الخرافية فهي التي لا تعتمد على الحقائق بقدر ما تعتمد على السمع، ولذلك اختصروا القول في صاحبها بأنه الذي يصدق ما يسمع ويكذب ما يرى، يرى الشيء بعينه فلا يصدقه.

العقلية الخرافية غير علمية، تسمى عقلية مجازا، وليست من العقل في شيء، مثلهم مثل الحديث الموضوع فهو ليس حديثا في الأصل، لكنه سمي حديثا باعتبار الواضع الذي نسبه كذبا وزورا إلى رسول الله ﷺ. أما من حيث انتماء هذه العقلية لأنماط التفكير المختلفة، فهي لا تنتمي لأي نمط منها، فلا تنتمي للتفكير السطحي ولا التفكير العميق ولا المستنير.

وهي عقلية يقصد بها الجاهل من هو أجهل منه؛ لأن ظنه وجهله صور له أنه عالم، لمجرد أنه رأى كثرة أتباعه (الجهلاء المماثلين) أو رأى طول قيامه في الصلاة، أو طول لحيته، وقصر جلبابه، وعمة كبيرة على رأسه، وهكذا من الأمور التي لا تنضبط ولا يُحكم بها على عقلية المرء ولا علمه.

وعقلية الدواعش لا تفرق بين عدد من الأمور الجوهرية، ورؤوسهم يدركون جيدا أنهم يحيدون عن التفريق بين هذه الأمور، ولكنهم يغبشون بذلك على أتباعهم ومواليهم، حتى يضمنوا الانسياق الأعمى في ركابهم دون شك أو ريبة في علومهم أو معارفهم.

الخلط بين الدين كعلم والتدين كسلوك:

ويخلط نموذج الكراهية بين الدين كعلم ومعرفة، وبين التدين كسلوك

وعمل، فالعالم عندهم بالدين هو المتدين أو المواظب على التعبد، وإن كان في الظاهر فقط، فهذا هو المؤهل لأن يؤخذوا عنه دينهم، لا غيره، فالعالم الأزهري إن كان حليقا فهو لا يفقه شيئا في دينه وليس قدوة، وأما الجاهل من أتباعهم الذي يقصر ثيابه ويطلق لحيته فهو الإمام القدوة الذي يسمعون له ويأخذون عنه.

وحينما يفقد الإنسان العقلية المؤهلة للتمييز بين العقل وعدمه وبين العلم والجهل، فقد صار صاحب هذه الشخصية في الضلال المبين، الأمر الذي يجعل رده إلى جادة الصراط المستقيم أمرا صعبا، لأن عناده مركب وجهله معقد، وليس هناك أدوات أو بدهيات يمكن البدء منها في إقناعه بالصواب.

نموذج المحبة والذي رسمه لنا سيدنا رسول الله ﷺ لا يعرف الخداع، ولا يعرف المكر، ولا يعرف أن يفرط في مبادئه وغاياته السامية من أجل عرض من الدنيا زائل، بل كان ﷺ القدوة سره كعلانيته.

دَخَلَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَقَالُوا يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ حَدِّثِينَا عَنْ سِرِّ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-. قَالَتْ كَانَ سِرُّهُ وَعَلاَنِيَتُهُ سَوَاءً. [1]

ولقد جاء مشركو مكة إلى سيدنا رسول الله ﷺ ليراوده ويساوموه بالدنيا وسلطانها، يختبرونه، فقالوا: «**إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا**

---

١ - مسند أحمد: ج٦/ص٣٠٩ ح٢٦٦٧٩.

الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا، حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا».(١)

وأما نموذج المتطرف فإنه ينظر إلى الدين كأداة أو وسيلة يسخرها متى شاء وأحب لكسب تعاطف الناس واستقطابهم وحشدهم لأجل تحقيق مصلحة جماعته وفرقته.

فهم حقيقة العبادة:

أما نموذج المحبة فإنه يفهم من قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

على هذا النحو: أي ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ هي تنفيذ أوامر الله ﷻ والانتهاء عن نواهيه، وهي تشمل العبادة في صورتها الصلاة والصيام، والعمارة في صورتها إقامة الحضارة والتمكين لحياة المسلم القوي الذي هو أحب عند الله وأقرب من المؤمن الضعيف، فإقامة المدارس وتعليم الأولاد وتدريب الجنود وتشييد المصانع وزراعة الأرض كل ذلك داخل في قوله ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾.

والانقطاع عن عمارة الأرض بزعم أن ربنا لم يأمرنا بغير العبادة . أي الجلوس في المساجد والانقطاع عن الدنيا . هو فساد وانحراف عن مقاصد الخالق من شريعته وأمره العباد بالعمل الصالح.

---

١ - سيرة ابن هشام ١/ ٢٩٣.

ويدخل أيضا في قوله ﴿لِيَعۡبُدُونِ﴾ تزكية النفس وتهذيبها، حتى يأمن الإنسان مكرها به واستدراجها له نحو شهواتها ورغباتها المحرمة. فلا يترك الإنسان نفسه نهبة لكل فعل وإن كان حلالا، فيسرف في استبدال الأزواج وكنز الأموال والإنفاق على الملذات ويتنطع مترفا بالجدل والخصام واصطناع الشقاق بين الناس.

المتطرف دائما يسعى للشذوذ عن بقية المحيطين به والتمايز عنهم والتعالي عليهم، مما يدفعه إلى تأسيس دين موازٍ لدينهم وجماعة موازية لجماعتهم، يرغب في الانفصال والسرية ويرى في دائرته الحق والصواب واحتكار حقيقة الدين.

وأما المسلم في نموذج المحبة فيرى الإسلام دينا للجماعة الإنسانية، وفيه هداية للعالمين ورحمة للجميع، كل يأخذ منه بنصيبه وإن لم يؤمن به ويعتقد فيه، فيستفيد غير المسلم من النظم والقواعد الفكرية والمعارف التي أرساها الإسلام، ويتعلم من مكارم الأخلاق التي حض عليها، وينعم بالسلام والأمان في ظل دولة تأخذ بأحكامه.

فنرى المسلم حسب هذا النظام يحافظ على الجماعة ويحترم النظم وإن كان القائمون عليها غير مسلمين، فيتحمل المسئولية ويقوم بواجباته تجاه الجماعة، ويحسن التصرف والتعامل مع كافة البشر بمختلف العقائد والأمزجة والأفكار، لا ينعزل عن الكون، ولا يذوب في الآخرين فتنعدم هويته ويصير إمعة يتبع من حوله على الخير والشر سواء.

فالإسلام دين وحضارة: دين هداية للناس يحرص على حقهم في المعرفة وحريتهم في الاختيار، يحارب التسلط على العقول وعلى الإرادات

الإنسانية، وحضارة انصهرت فيها الأعراق والشعوب والقبائل والملل والنحل، والمسلم حسب نموذج المحبة يتعلم من سنة سيدنا رسول الله ﷺ وسيرته نماذج متنوعة في التعايش مع الآخرين، ومسايرة أمور الدولة والمجتمع الإنساني، ويفهم هذه النماذج منطلقا له في سلوكه ومعايشه، ويدرك كيف يطبقها في حياته حسب ظروفه وأحواله، فهي نماذج وليست نموذجا واحدا.

إن سيدنا رسول الله ﷺ هو القدوة الطيبة والأسوة الحسنة التي يجب على المسلمين جميعا احتذاؤها والاهتداء بها، قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ولقد أرسى لنا رسول الله ﷺ قواعد وأسسا للتعايش مع الآخر، ووضع وأصحابه أسس الحضارة الإسلامية التي يعيش بفضلها المسلمون في تواصل واندماج وتعارف وتفاعل مع كل من اختلف معهم دون تفريط في ثوابت دينهم.

وهي عبارة عن نماذج ترسم خطة سوية للسلوك الاجتماعي والسياسي والدبلوماسي والاقتصادي لمعاملة المخالفين في الدين، في حال السلم وحال الحرب، وفي حال العدل وحال العدوان، وفي حال الرحمة وحال الطغيان.

الأول نموذج مكة. حيث المسلمون قلة في بيئة معادية، والمقام فيها مقام الصبر والتحمل، وحسن المعاملة، والدعوة إلى الإسلام.

والثاني نموذج الحبشة. حيث المسلمون قلة في بيئة عادلة منصفة. والمقام فيها مقام الاندماج والوفاء والمشاركة.

والثالث نموذج المدينة في عهدها الأول. حيث المسلمون أكثرية يعيشون في مجتمع يشاركهم فيه أقليات مختلفة ومتنوعة من حيث الدين والعرق وغير ذلك. ينتظم الجميع تحت حكومة مسلمة، والمقام فيه مقام المساواة والإخاء والتعاون والمواطنة للجميع.

والرابع نموذج المدينة في عهدها الأخير. حيث اختفت الأقليات من المجتمع المسلم، واقتصر الأمر على أفراد غير مسلمين يعيشون في الدولة المسلمة التي تخضع للنظام الإسلامي، وقد استتب لهذه الدولة سلطانها، وتغلبت على القوى المناوئة لنشأتها ونهضتها. والمقام فيها مقام العدل والانفتاح والحوار.

وينظر المتطرفون إلى هذه النماذج على أن بعضها أو الأخير منها قد نسخ المتقدم عليه، وهذا غير صحيح؛ لأن أحوال المسلم فردا وأحوال المسلمين مجتمعا تتغير وتتبدل، ولا يُحرَم المسلم من الاستفادة والاستهداء بهدي تلك النماذج في حياته ومعيشته متمسكا بدينه محافظا على شعائره ممارسا لدعوته وفاعليته بدعوى النسخ المتوهم، الذي لا يدعمه دليل.

ويجب التنبيه أيضا على الحذر في إسقاط أحكام نموذج ما على حال أو مقام لا يتطابق مع هذا النموذج، وهذا الباب هو الذي ضل فيه كثير من الجماعات المتطرفة التي سلكت طريق الإرهاب والعنف مع كل مخالف لها تحت مسمى الجهاد، بسبب خطأهم في إسقاط أحكام نموذج على أحوال ومقامات خاصة بنموذج آخر، فضلوا عن حقيقة الجهاد في الإسلام ولم يفهموا المقصد فيه ومنه.

فقصروا مفهوم الجهاد على القتال وجعلوا منه غاية في ذاته، وإن حقق عكس ما قصد منه، فهؤلاء الدواعش الذين أقاموا في بلاد الغرب أو في بلاد الإسلام خرجوا على مجتمعاتهم يكفرونها ويعتدون على أهلها، لا يفرقون بين بر وفاجر، فجعلوا من الجهاد إرهابا وعدوانا، وأساءوا إلى صورة الإسلام في أعين الناس في العالمين، مما صار حائلا بين معرفتهم له فضلا عن اهتدائهم بهديه ودخولهم فيه.

ولقد أثرت هذه النماذج في شخصية المسلم وامتدت إلى أعماقه حتى صار الصبر والتعايش والانفتاح والتعاون والوفاء والمشاركة والعدل والوعي بالشأن والزمان، والسعي على بصيرة ؛ جزءا لا يتجزأ من تلك الشخصية، والنماذج الأربعة في التعايش مع الآخر فردا كان أو دولة هي نماذج قائمة لا يعتريها إبطال أو تعطيل، والواقع وحال الناس هو الذي يحدد للمسلم في هدي أي نموذج يمكنه أن يتواصل ويتعاون ويحقق السلام الاجتماعي والتعايش مع الآخر .

وإن الإسلام دعانا إلى التعايش السلمي مع الآخرين، والمسلمون منذ نشأت حضارتهم وهم يتبادلون مع الآخرين المصالح والأفكار والمنافع والعلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، واستطاعوا بذلك نشر دينهم والدعوة إليه بالأمانة والصدق والعدل والسلام والمحبة والتواضع والتسامح وغير ذلك من القيم الأخلاقية، والدولة الإسلامية هي التي تؤسس لحرية الدين والعقيدة ويتساوى فيها المواطنون على اختلاف أديانهم وأعراقهم وألوانهم.

أما جريمة المتطرف فهي أنه ينظر إلى المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية ويطبق عليها أحكام النموذج المكي، فينزل أحكام المشركين والكافرين التي يقرأها في كتاب الله أو سنة رسوله على المسلمين من حوله، فيفكر في اعتزال أهله وهجرهم، والخروج على بلده، والتدبير ضد مجتمعه بسرية، وهكذا.

يرغب المتطرف في العيش بعصر النبي ﷺ بأدواته وظروفه، ويدعو الناس إلى ذلك، ولا يلتفت إلى مخالفة منهج النبي الصحيح، فَيُظْهِر الدين بمظهرٍ متخلفٍ عن ركب الحياة الحديثة والتطور، ولقد سمعت بعض دعاتهم يحدث الناس في خطبة الجمعة عن نزوله من البيت والسير في الشارع حافيا اتباعا لسنة النبي ﷺ وحرصا على التمثل بفعله.

فالمتطرف يرتكب جريمة إذ يضيع المقاصد والمضامين، ويدعو الناس إلى الظاهر والتظاهر وإلى الشكل الخارجي فقط، فيصنع لأتباعه دائرة من سفاسف الأمور وصغار المسائل والأحكام الفرعية يدورون حولها ليلا ونهارا ويلوكونها بالألسنة، فلا يتطرقون لغيرها، فيظهروا الإيمان والإسلام وكأنه الاعتقاد في هذه الأمور، كمن ذهب ليدعو عجوزا في بلاد الغرب فاستهل دعوته بقتل كلبها المؤنس لها، فقتل الكلاب صار في دين هؤلاء ركنا، وكذا حديثهم عن اللحية والنقاب والموسيقى والغناء وتقصير الثوب وتحية غير المسلمين والسلام عليهم..

أما نموذج المحبة فإنه يدعو الناس إلى العيش بمنهج النبي ﷺ بسنته وهديه، فنستعين بأداوات عصرنا وعلومه ومعارفه في التقدم والنهضة

والتنمية، فنحن أعلم بشئون دنيانا، فنحافظ بذلك على فاعلية دين الإسلام في الحياة وللحياة، ولا نضيع جوهر الدين ومقاصد الشريعة لصالح الشكل الذي يتغير حسب الأحوال والأماكن والأشخاص والأزمان.

نموذج المحبة يخرج لنا عَالِمًا يفكر في مستجدات العصر ويجتهد في حل مشاكل الناس من أجل تفعيل الشريعة في حياتهم، يتجاوز الخلافات الفقهية التراثية التي تغيرت مسائلها، ويُعْرِض عن سفاسف الأمور، ويهتم بالأولويات والأمور المهمة في حياة المسلمين.

نموذج المحبة ضد العشوائية في كل شيء، يتناول أمور الدنيا والدين بمنهجية، يفكر فيها وفق نموذج معرفي إسلامي له أركان وأسس، ثم يتيح بعد ذلك لعقله الحرية في الاجتهاد والتجديد.

النموذج المعرفي فيه أن الله واحد وهو خالق الكون وإليه المصير، خلق الإنسان من تراب بعد أن لم يكن شيئا، والناس مشتركون في أصل الإنسانية والخلق، لا فضل في ذلك لأحدهم على آخر، أرسل الله ﷻ الرسل ومعهم الكتب وأنزل الشرائع والتكاليف ليعمل بها الإنسان ويسعد في دنياه وآخرته، وهو مسئول عن طاعته وعن معصيته يوم القيامة.

الحياة تكامل وتعاون واتحاد، والحياة يعيشها المسلم كلها بشقيها الروحي والمادي، يميز بين الثوابت والمتغيرات، لا يتشدد مع نفسه أو الآخرين، بل يدرك جيدا أن الحياة ساعة وساعة، ويجب على الإنسان أن يروح عن نفسه حتى تصبر وتتحمل مشاق العبادة والعمارة والتزكية.

عَنْ حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِىِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: لَقِيَنِى أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ. قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْىَ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلاَدَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا. فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: **«وَالذي نَفْسِى بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِى وَفِى الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِى طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً»**. ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. (١)

يعني هذه سنة الحياة وهذه طبيعة الإنسان، إنه ليس ملاكا، بل خُلِقَ وله متطلبات من العيش يجب احترامها وتلبيتها.

وعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِىِّ -ﷺ- قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَىَّ خُوَيْلَةُ بِنْتُ حَكِيمِ بْنِ أُمَيَّةَ السُّلَمِيَّةُ وَكَانَتْ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ، فَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ بَذَاذَةَ هَيْئَتِهَا فَقَالَ لِى: **«يَا عَائِشَةُ مَا أَبَذَّ هَيْئَةَ خُوَيْلَةَ»**. قَالَتْ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ امْرَأَةٌ لاَ زَوْجَ لَهَا يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ فَهِىَ كَمَنْ لاَ زَوْجَ لَهَا، فَتَرَكَتْ نَفْسَهَا وَأَضَاعَتْهَا – قَالَتْ – فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- إِلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ فَجَاءَهُ فَقَالَ: **«يَا عُثْمَانُ أَرَغْبَةً عَنْ سُنَّتِى»**. فَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَكِنْ سُنَّتَكَ أَطْلُبُ. قَالَ:

---

١ – صحيح مسلم:ج٤/ص٢١٠٦ ح٢٧٥٠.

«فَإِنِّى أَنَامُ وَأُصَلِّى وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأَنْكِحُ النِّسَاءَ فَاتَّقِ اللهَّ يَا عُثْمَانُ؛ فَإِنَّ لأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَصُمْ وَأَفْطِرْ وَصَلِّ وَنَمْ».(١)

وأما نموذج الكراهية فهو يفضل العشوائية، وهي منهجه في التعامل مع أمور الدنيا والدين، فتجده دائما في تخبط، ولا تنضبط أموره، ينادي بالدين ويحض على الآخرة وهو متلهف ومحارب على الدنيا وسلطانها، والسبب في ذلك أنه لا يفهم النموذج السابق ذكره، ولم يضع الإجابة على الأسئلة الأولية نصب عينيه فيؤسس عليها نظرته للحياة وسعيه فيها.

نموذج المحبة يحرص دائما على صورة الإسلام في أعين الناس، ويحافظ على صورة المسلمين أن تكون نقية وشريفة كما أرادها الله ﷻ، فإن كان أمر يساء فهمه حرص على بيانه أو تجنبه.

قالت صَفِيَّةُ أم المؤمنين زَوْجَ النَّبِيِّ - ﷺ -: كَانَ النَّبِيُّ - ﷺ - معتكفا في الْمَسْجِدِ في الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَعِنْدَهُ أَزْوَاجُهُ، فجئته أزوره في الْمَسْجِدِ، فَتَحَدَّثْتُ عِنْدَهُ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ أنقلب إلى بيتي في دار أسامة، فَقَالَ: **«لاَ تَعْجَلِي حَتَّى أَنْصَرِفَ مَعَكِ»**. فقد كانت الظلمة حالكة، فَخَرَجَ النَّبِيُّ - ﷺ - مَعَهَا، فَلَقِيَهُ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ، فَنَظَرَا إِلَى النَّبِيِّ - ﷺ - ثُمَّ أَجَازَا. أي

١ - مسند أحمد: ج٦/ ص٢٦٨ ح٢٦٣٥١.

أسرعا. فَقَالَ لَهُمَا النَّبِىُّ – ﷺ –: «**تَعَالَيَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَىٍّ**». قَالاَ: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِى مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّى خَشِيتُ أَنْ يُلْقِىَ فِي أَنْفُسِكُمَا شَيْئًا**».(١)

فالرسول ﷺ يحرص على صورته كقائد ورئيس لقومه، وإن كانوا آمنوا به وبرسالته، فنادى على أصحابه وعرفهم أن من تقف معه هي زوجته صفية.
وقال المنافق عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَىٍّ: وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ. يقصد بنفسه الأعز وبسيدنا رسول الله الأذل، فعلم الصحابة وعلم سيدنا رسول الله بمقالته، ونزل قرآن بشأنها، ولم يأمر بقتله، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضى الله عنه: دَعْنِى يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ. قَالَ النَّبِىُّ – ﷺ –: «**دَعْهُ لاَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**».(٢)

يحرص سيدنا رسول الله ﷺ أن يقول الأعراب إن محمدا يقتل أصحابه، فيكون ذلك داعيا لإحجامهم عن الدخول في الإسلام، والرضى بنظامه ودولته.
وعَنْ عَائِشَةَ – رضى الله عنها – قَالَتْ: سَأَلْتُ النَّبِىَّ – ﷺ – عَنِ الحِجْرِ أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قُلْتُ: فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ في الْبَيْتِ؟ قَالَ: «**إِنَّ قَوْمَكِ**

١ – صحيح البخاري:ج٢/ص٧١٧ ح١٩٣٣.
٢ – صحيح البخاري:ج٤/ص١٨٦٣ ح٤٦٢٤.

قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ». قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهَا مُرْتَفِعًا قَالَ: **«فَعَلَ ذَلِكِ قَوْمُكِ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الحِجْرَ فِي الْبَيْتِ وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالأَرْضِ»**. (١)

يرغب سيدنا رسول الله في أن يقيم بيت الله على قواعده الإبراهيمية ويدخل فيه حجر إسماعيل، ولكنه يحجم عن ذلك ويبقيه كحالته حتى لا يفتن الناس أو يلبس عليهم.

وعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَجُلاً اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ - ﷺ - فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: **«بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ»**. فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ - ﷺ - فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **«يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِى فَحَّاشًا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ»**.(٢)

يتحمل رسول الله ﷺ ويصبر على مخالطة سيء الخلق وسيء العشرة حتى يرقق قلبه، وحتى يكون قدوة للمسلمين، وفي هذا المسلك وأد للفتنة ووأد للشر ودفع بالتي هي أحسن.

---

١ - صحيح البخاري:ج٢/ص٥٧٤ ح١٥٠٩.

٢ - صحيح البخاري:ج٥/ص٢٢٤٤ ح٥٦٨٥.

ويفهم مما سبق أن سيدنا رسول الله ﷺ كان متعايشا مع الخلق أجمعين بمشاربهم المختلفة من أحبه ومن كرهه، من أحسن إليه ومن أساء، وكان رحيما بأمته وأتباعه فلا يحملهم ما لا يطيقون، حتى وإن تعلق الأمر بشأن الكعبة، فقد أحجم عن إدخال الحِجْر في بنيانها حتى لا يفتن أتباعه.

وصدق الإمام البوصيري إذ قال في مدحه:.

لَمْ يَمْتَحِنَّا بِمَا تَعْيَا العُقُولُ بِه   حِرْصًا عَلَيْنَا فَلَمْ نَرْتَبْ وَلَمْ نَهِم

أما الدواعش الإرهابيون الذي يخرجون على الناس في أفلامهم وصورهم يذبحون الخلق ويحرقونهم بكل وحشية وهمجية، وينطقون اسم الله على أفعالهم، وهم لا يبالون بتشويه صورة الدين ولا الإساءة إليه، بل يفخرون ويتفاخرون أن يُطْلِق عليهم الآخرون وعلى دينهم وعلى الإسلام كل لفظ مشين.

الإرهابي مريض النفس ومرضه خطير ومركب:

فهو يحقد على الآخرين خاصة الناجحين، ويلومهم على صبرهم ومثابرتهم في التعليم والتعلم، فتراه يكره الأزهر الشريف ويحقد على أهله وعلمائه، ويرميهم بالنفاق والتساهل في دينهم والبدعة فيه.

ومن هشاشة تفكير الإرهابي وسقم نفسه أن يبرر عجزه وفشله في الحياة سواء في تحصيل العلم الشرعي أو في كسب ود الناس ومحبتهم أو في حصول الهيبة والقبول بين الناس أو في الاستجابة لدعوته والانقياد له وغير ذلك يبرره ويعلقه على جهل الناس به، وظلمهم له؛ لأنه على الحق المبين.

فالآخرون في نظر الإرهابي يكرهونه ويضطهدونه لأنه صلب على الحق

ومتمسك بدينه بقوة، وهو أمر يريدون لواذا منه، فليس لهم صبر على الطاعة والعبادة كما يفعل، فالناس تحب الدعة والتسيب والفساد والترف وتكره الحق والحقيقة.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ. فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ**». ورويت: أَهْلَكَهُمْ بِالنَّصْبِ أَوْ أَهْلَكُهُمْ بِالرَّفْعِ. وكل من الإعرابين يؤدي معنى دقيقا، الأول أن هذا الرجل هو سبب في هلاك الناس، والثاني أنه أشدهم ضلالا وهلكة.

ويبني الإرهابي على ذلك أمورا، منها: أنا ومن اتبعني على الحق إذن أنا مظلوم ومضطهد من الناس، وهذا شأن كل صاحب حق، والعكس بالعكس، طالما أني وجماعتي مضطهدون ومحاربون من قومي فأنا حتما على الحق والحقيقة.

وهذا التلازم الباطل الذي لم يُؤَسَّس على بينة، ولا دليل عليه، كان سببا في ضلال شخصٍ ضَلَّ وأضل وراءه وعلى إثره أقواما وجماعات، ألا وهو سيد قطب، ونفصل ذلك فنقول:.

إن هشاشة الشخصية واضطرابها في التفكير يجعلها تربط ربطا ساذجا بين المواقف والأحداث، ويكثر التقلب في حياتها بين جوانب من التفكير متناقضة ومتضادة أحيانا كثيرة، كالذي حدث في حياة سيد قطب، والذي كان رجل الثورة وأديبها وصديقا لعبد الناصر وأقرانه، وعدوا للإخوان المسلمين، ولكنه بين عشية وضحاها تغير موقفه وتبدل، وحينما فَتَّشَ هو نفسه في مسيرته وسُئِلَ عن سبب تحوله ذلك، وفَتَّشْنا عما دَوَّنَه وكتبه خرجنا بالقصة التالية:

سئل سيد قطب كثيرا وسأل هو نفسه عن اللحظة الفارقة في حياته والتي أدت إلى هذا التحول الكبير والانقلاب الذي أدخله جماعة الإخوان المسلمين بعد أن كان أشد أعدائها، وذلك بعد مقتل زعيمها حسن البنا.

وهي قصة واحدة ولكن لها روايات متعددة، الأولى كتبها سيد قطب بنفسه في كتابه **«لماذا أعدموني»**

قال: سأختصر في بياني هذا النشاط من وقت التحاقي بالجماعة سنة **١٩٥٣**م إلى سنة **١٩٦٢**م لأتوسع فيما بعد ذلك، إذ **أن هذه الفترة الأولى ليس فيها – بالنسبة لي – شيء ذو أهمية، أكثر من أنه تمهيد للفترة التالية**، ثم إن أحداثها قد انتهى أمرها، فيما عدا حادثاً واحداً شديد الأهمية، **ولو ثبت**؛ فقد يغير وجه تاريخ العلاقات بين الدولة والإخوان المسلمين، ويغير وضع قضية **١٩٥٤**م، وسأذكره في مناسبة في سياق التقرير.

لم أكن أعرف إلا القليل عن الإخوان المسلمين، إلى أن سافرت إلى أمريكا في ربيع ١٩٤٨م في بعثة لوزارة المعارف – كما كان اسمها في ذلك الحين – وقد قتل الشهيد حسن البنا وأنا هناك في عام **١٩٤٩**م، ولقد لفت نظري بشدة ما أبدته الصحف الأمريكية وكذلك الإنجليزية التي كانت تصل إلى أمريكا من اهتمام بالغ بالإخوان، ومن شماتة وراحة واضحة في حل جماعتهم وضربها وفي قتل مرشدها، ومن حديث عن خطر هذه الجماعة على مصالح الغرب في المنطقة وعلى ثقافة الغرب وحضارته فيها، وصدرت كتب بهذا المعنى سنة **١٩٥٠**م، أذكر منها كتاباً لـ **«جيمس هيوارث دن»** بعنوان: **«التيارات السياسية والدينية في مصر الحديثة»**... كل هذا لفت نظري إلى أهمية هذه الجماعة عند

الصهيونية والاستعمار الغربي.

في الوقت ذاته صدر لي كتاب **«العدالة الاجتماعية في الإسلام»**، سنة **١٩٤٩**م مصدرًا بإهداء هذه الجملة: (إلى الفتية الذين ألمحهم في خيالي قادمين يردون هذا الدين جديدا كما بدأ، يجاهدون في سبيل الله لا يخافون لومة لائم... الخ)، **ففهم الإخوان في مصر أنني أعنيهم بهذا الإهداء، ولم يكن الأمر كذلك،** ولكنهم من جانبهم تبنوا الكتاب، واعتبروا صاحبه صديقاً، وبدأوا يهتمون بأمره.

فلما عدت في نهاية عام **١٩٥٠**م؛ بدأ بعض شبابهم يزورني ويتحدث معي عن الكتاب، ولكن لم تكن لهم دار، لأن الجماعة كانت لا تزال مصادرة، واستغرقت أنا عام **١٩٥١**م في صراع شديد بالقلم والخطابة والاجتماعات ضد الأوضاع الملكية القائمة والإقطاع والرأسمالية، وأصدرت كتابين في الموضوع غير مئات المقالات في صحف **«الحزب الوطني الجديد»** و **«الحزب الاشتراكي»** و**«مجلة الدعوة»** التي أصدرها الأستاذ صالح عشماوي ومجلة الرسالة وكل جريدة أو مجلة قبلت أن تنشر لي، بلا انضمام لحزب أو جماعة معينة، وظل الحال كذلك إلى أن قامت ثورة **٢٣** يوليو سنة **١٩٥٢**م.

ومرة أخرى استغرقت كذلك في العمل مع رجال ثورة ٢٣ يوليو حتى فبراير سنة ١٩٥٣م عندما بدأ تفكيري وتفكيرهم يفترق حول هيئة التحرير ومنهج تكوينها وحول مسائل أخرى جارية في ذلك الحين لا داعي لتفصيلها. وفي الوقت نفسه كانت علاقاتي بجماعة الإخوان تتوثق باعتبارها في نظري حقلاً صالحاً للعمل للإسلام على نطاق واسع في المنطقة كلها بحركة إحياء

وبعث شاملة، وهي الحركة التي ليس لها في نظري بديل يكافئها للوقوف في وجه المخططات الصهيونية والصليبية الاستعمارية التي كنت قد عرفت عنها الكثير وبخاصة في فترة وجودي في أمريكا.

وكانت نتيجة هذه الظروف مجتمعة انضمامي بالفعل سنة **١٩٥٣**م إلى جماعة الإخوان المسلمين.

ومع ترحيبهم – على وجه الإجمال- بانضمامي إلى جماعتهم إلا أن مجال العمل بالنسبة لي في نظرهم كان في الأمور الثقافية لقسم نشر الدعوة ودرس الثلاثاء والجريدة التي عملت رئيساً لتحريرها وكتابة بعض الرسائل الشهرية للثقافة الإسلامية. أما الأعمال الحركية كلها فقد ظللت بعيداً عنها.

ثم كانت حوادث **١٩٥٤**م فاعتقلت مع من اعتقلوا في يناير وأفرج عنهم في مارس! ثم اعتقلت بعد حادث المنشية في **٢٦** أكتوبر كذلك، واتهمت بأني في الجهاز السري ورئيس لقسم المنشورات به، ولم يكن شيء من هذا كله صحيحاً!.

وأرجو أن يلاحظ أنني لا أقصد تبرئة نفسي من عمل سجنت من أجله عشر سنوات وانتهى أمره ولا قيمة لتبرئة نفسي منه الآن. وإنما هذا جانب من الصورة التي لها دخل قوي في الوقائع الجديدة وهذه كل أهميتها. وهنا يجيء ذكر الحادث الوحيد ذي الأهمية البالغة في حوادث **١٩٥٤**م الذي أشرت إليه وهو حادث المنشية وما يحيط به، وأرجو أن يفسح السادة المشرفون على قضية اليوم صدورهم لسماع كل التفصيلات والمقدمات التي أحاطت به وسبقته وعندي عنها علم أو استنتاج، وألا يعتبروها متعلقة بقضية تاريخية انتهى

أمرها ولا داعي لضياع الوقت في الحديث عنها، فإن لها علاقة قوية جداً بالقضية الجديدة وبكل وقائعها وحوادثها ودوافعها.

في عام **١٩٥١**م سافر الدكتور أحمد حسين وزير الشؤون الاجتماعية في وزارة الوفد إلى أمريكا، وعاد منها مستقيلاً من الوزارة، ورغم كل الترضيات التي قدمها له النحاس باشا فقد أصر على الاستقالة ثم أخذ بعدها في تكوين (جمعية الفلاح) وفي مقدمة أهدافها تحقيق العدالة الاجتماعية للفلاحين والعمال وبرنامج ضخم حول هذه الأهداف. **وهللت الصحافة الأمريكية للجمعية بصورة كشفت عن طبيعة العلاقة بين الجمعية والسياسة الأمريكية في المنطقة.** ووضعت الهالات الكبيرة حول الشاب الدكتور أحمد حسين وحرمه المتخرجة **على ما أذكر من الجامعة الأمريكية** – وانضم إلى هذه الجمعية رجال كثيرون برياسة الشاب الدكتور أحمد حسين مع أنهم أكبر منه شأنا ومقاماً في ذلك الحين، منهم الدكتور محمد صلاح الدين وزير خارجية وزارة الوفد والدكتور عبد الرزاق السنهوري وزير المعارف في وزارة السعديين ورئيس مجلس الدولة من قبل وأمثالهم. وهي ظاهرة تلفت النظر. وكان الشيخ الباقوري ممن انضم إليها، المهم فيما يتعلق بالخلاف بين رجال الثورة والإخوان المسلمين. وكنت في ذلك الوقت ألاحظ نموه عن قرب، لأنني أعمل أكثر من اثنتي عشرة ساعة يومياً قريباً من رجال الثورة ومعهم ومع من يحيط بهم. أقول المهم أن الأستاذ فؤاد جلال (توفي وكان وزيرا في أول وزارة برياسة الرئيس السابق محمد نجيب) كان من بين أعضاء جمعية الفلاح وكان وكيلاً للجمعية. وكنت ألاحظ في مناسبات كثيرة أنه يغذي الخلاف بين رجال الثورة والإخوان المسلمين،

ويضخم المخاوف منهم. ويستغل ثقة الرئيس جمال عبد الناصر به، ويبث هذه الأفكار في مناسبات كثيرة لم يكن يخفيها عني لأنه كان يراني كذلك مقرباً من رجال الثورة وموضع ثقتهم مع ترشيحهم لي لبعض المناصب الكبيرة الهامة ومع تشاورنا كذلك على المفتوح في الأحوال الجارية إذ ذاك، مثل مسائل العمال والحركات الشيوعية التخريبية بينهم بل مثل مسألة الانتقال ومدتها والدستور الذي يصدر فيها. الخ..

المهم أنني كنت أربط بين خطة الأستاذ فؤاد وجمعية الفلاح كمنظمة أمريكية الاتجاه والاتصال وبين إشعال الخلاف بين الثورة والإخوان، وقد حاولت في وقتها ما أمكن منع التصادم الذي كنت ألمح بوادره، ولكني عجزت، وتغلب الاتجاه الآخر في النهاية.

ولكن ما علاقة هذه المقدمة الطويلة بحادث المنشية؟ والقضية الجديدة؟ منذ أن **وقع هذا الحادث وأنا أشك في تدبيره ولم أكن أعلم شيئاً يقينياً عن ذلك.** ولكن كل الظروف المحيطة كانت **تجعلني أشك في أنه ليس طبيعياً.** كان شيء ما يلح على تفكيري في أنه مدبر لتكملة الخطة التي تنتهي بالتصادم الضخم بين الثورة والإخوان تحقيقاً لأهداف أجنبية. **أرجح من استقراء الأحوال** ومن خطة الأستاذ فؤاد جلال وكيل جمعية الفلاح أنها أمريكية!.

وعندما كان السيد صلاح دسوقي يستجوبني هنا في السجن الحربي عام **١٩٥٤** صارحته برأيي في تدبير الحادث. وقد انتفض وقتها بشدة وهو يقول لي: هل أنت كذلك بكل ثقافتك من الذين يقولون أنها تمثيلية؟ وقلت له: أنا لا أقول أنها تمثيلية ولكني أقول أنها مدبرة لهدف معين وأن أصبعا أجنبياً ذات

دخل فيها. قال لي وقتها وقد هدأ اضطرابه: جايز! ولكن واحداً من الإخوان المسلمين هو الذي قام بالحادث! .

ثم أعود لسرد الأحداث المتعلقة بنشاطي بعد عام ١٩٥٤م **أن شعوري وتقديري بأن حادث المنشية مدبر تدبيراً، جعل يملأ نفسي رغبة في معرفة الحقيقة غير أنني لم أجد أحداً ممن التقيت بهم في سجن طره عام ١٩٥٥م وكانوا كثيرين قبل ترحيلهم إلى الواحات يدلني على هذه الحقيقة.** كل من سألتهم ومنهم ناس قريبون جداً من محمود عبد اللطيف الذي انطلقت الرصاصات من مسدسه ومن هنداوي دوير كذلك قالوا لي: **المسالة غامضة وموش عارفين الحكاية دي حصلت ازاي.** وبعضهم قال: **المسألة فيها سر لا يمكن الآن معرفته. وكانت كل الأجوبة لا تملك أن تعطيني الحقيقة..**

غير أن هذا كله كان يزيد نفسي شعوراً من ناحية أخرى بأن السياسة المخططة من جانب الصهيونية والصليبية الاستعمارية لتدمير حركة الإخوان المسلمين في المنطقة تحقيقاً لمصالح ومخططات تلك الجهات قد تحققت بنجاح. وأنه في الوقت ذاته لابد من محاولة الرد على تلك المخططات بإعادة حياة ونشاط الحركة الإسلامية حتى ولو كانت الدولة لسبب أو أكثر لا تريد. فالدولة تخطئ وتصيب!.

كما أنها كانت **تملأ نفسي شعوراً بالظلم** الذي أصاب آلاف الأفراد وآلاف الأسر والبيوت. بناء على حادث واضح جداً تدبيره- حتى ولو لم يعلم بالضبط في ذلك الوقت من دبره- وبناء على الرغبة من حماية النظام القائم من خطر ضخمته أجهزة غريبة الأهداف واضحة كذلك من كتبهم وجرائدهم

وتقريراتهم وفي مقدمتها تقرير جونسون عن نهر الأردن. ثم تضخم هذا الشعور وأنا أرى النتائج الواقعية في حياة المجتمع المصري من **انتشار هائل للأفكار الإلحادية وللانحلال الأخلاقي نتيجة لتدمير حركة الإخوان المسلمين** ووقف نشاطها التربوي. وكأنما كان وجود هذه الجماعة سداً قد انهار وانطلق بعده التيار.

وكنت أسمع عن ذلك كله في السجن، ولما خرجت وجدت أن كل ما سمعت كان دون الحقيقة بكثير لقد تحول المجتمع إلى مستنقع كبير!.

إن المسألة أكبر بكثير مما يبسطها الذين ينظرون لما حدث على أنه مجرد تطور، إنها تتعلق بالمخططات الصهيونية والصليبية الاستعمارية في تدمير المقومات الأساسية للعناصر البشرية في المنطقة بحيث تصبح هذه الملايين حطاماً منهارا لا يملك المقاومة حتى لو وضعت في يده أقوى الأسلحة. فالرجال هم الذين يحركون الأسلحة وليست الأسلحة هي التي تحرك الرجال. والمجتمعات حين تنهار عقيدياً وخلقياً تصبح الملايين فيها غثاء لا يقف في وجه التيار.

ويستطيع الإنسان أن يلحظ بسهولة علاقة هذا الانحدار بتدمير حركة الإخوان المسلمين ومنع نشاطها، كما يستطيع أن يربط بين هذا التدمير وبين الخطط الصهيونية والصليبية الاستعمارية بخصوص هذه الجماعة وبخصوص المنطقة بجملتها.

هذه هي رؤيتي للموقف. أهـ[١].

أعدت قراءة هذه الكلمات والصفحات مرات ومرات أرغب في وضع صورة لهذه الشخصية، وأخيرا أصبت بالتعجب والاستغراب من اضطراب التفكير وهشاشة الشخصية، وحزنت على أجيال من شباب المسلمين الذين ضلوا وتحولوا إلى آلات هدم وتدمير لمجتمعاتهم وللعالم بسبب استلهامهم لأفكار التكفير والخروج والعنف التي أرساها سيد قطب.

والرواية السابقة للقصة المعنية دونها سيد قطب بناء على طلب من جهات التحقيق معه، ولكنه طالما سُئِلَ من قَبْلُ عن اللحظة الفارقة لتحوله ودخوله في الإخوان المسلمين، فكان يقص القصة والرواية شفاهيا لأقرانه وزملائه في المعتقل طوال مدة مكثه فيه، والرواية الشفاهية تزيد وتنقص وتختلف قليلا عن الرواية المدونة في كتابه لماذا أعدموني.

ويفاجأ الدارس بغياب المعلومات الدقيقة لدى كُتَّاب الإخوان واعتمادهم على الأساطير والخيالات حول علاقة سيد قطب بالجماعة، فبعضهم ذهب إلى أنه انضم سنة **١٩٤٨**م، وبعضهم قال: إنه انضم سنة **١٩٥١**م، وحتى رجل مثل صلاح شادي ذهب إلى أن سيد قطب انتخب سنة **١٩٥٢**م عضوا بمكتب الإرشاد، ونعرف أن واحدة من أزمات سيد قطب، وهو في السجن أنه لم يكن عضوا بمكتب الإرشاد، ولذا فإن عددا من أعضاء الإخوان في السجن اعتبروه مصدرا غير شرعي ليأخذوا منه أفكارهم

---

(١) لماذا أعدموني ص ١٠ وما بعدها.

ومعلوماتهم.

وفيما يخص علاقته بهيئة التحرير وعبد الناصر، ذهب مؤرخ الجماعة محمود عبد الحليم إلى أن عبد الناصر عرض على سيد قطب أن يتولى هيئة التحرير وأن يصبح وزيرا للمعارف، ولكن سيد رفض تماما لبعد الهيئة عن الإسلام كما يقول.

والشيخ محمد الغزالي أكد للباحث شريف يونس أن سيد قطب كان يتطلع إلى منصب وزير المعارف أو أن يتولى إدارة الإذاعة المصرية، ولكن عبد الناصر أفاد بأنه يمكن أن يمنح سيد منصب وكيل وزارة المعارف، وكان سيد قطب مراقبا مساعدا في مكتب وزير المعارف، وهذا يعنى أنه لم يكن وصل إلى درجة مدير، ومن ثم فإن ترقيته إلى وكيل وزارة كانت تعد قفزة وظيفية كبرى بالنسبة له، وقد أغضبه كثيرا أنه لم ينل المنصب الذي توقعه وحلم به.

والناقد عباس خضر صديق سيد قطب قطع بأن سيد قطب كان يريد منصب وزير المعارف، ولكنه لم يحصل عليه فغضب غضبا شديدا من الضباط الأحرار وانقلب عليهم.

وكتب سليمان فياض في الهلال أنه زار سيد قطب بعد الإفراج عنه سنة **١٩٦٤**م وأنه سمع منه أن ابتعاده عن الضباط كان بسبب محاولة الأمريكان السيطرة عليهم والتأثير فيهم.

ويعلق حلمي النمنم على ذلك فيقول: ولا يمكننا أن نصدق ذلك، لأن علاقة الضباط الأحرار بالولايات المتحدة كانت قائمة منذ البداية، وكانت متصلة أكثر وأشد ودا حينما كان هو مقربا منهم، فالسفير الأمريكي كافري

لعب دورا مهما في تأمين خروج الملك فاروق، بل وإقناع الملك بالاستجابة للضباط والتنازل عن العرش، والخارجية الأمريكية وجهت التحية في بيان لها إلى اللواء محمد نجيب بعد محاكمة وإعدام خميس والبقري. ولم يكن سيد نفسه بعيدا عن هذه العملية(١).

وأما عن الروايات الشفهية لقصة التحول التى حدثت لسيد قطب في أمريكا فيحكى عنها صلاح شادي فيقول: كان سيد مريضا في إحدى المستشفيات الأمريكية، فلاحظ بهجة وسرورا يغمران من حوله الممرضات والمرضى فظن أن القوم في عيد، غير أنه ذهل حين سألهم عن سبب بهجتهم تلك فكانت إجابتهم: «لقد تخلصنا من عدو الغرب الأول في ديار الشرق. لقد قتل حسن البنا»!!.

ولقد وجهت هذه الحاثة تفكيره ورسخت عنده أن يكون عضوا في جماعة الإخوان المسلمين!! ، وألا يكتفى بأن يكون كاتبا إسلاميا فحسب بل جنديا في كتيبة الإسلام.

وهكذا قدم الطبعة الثانية لكتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام» بقوله: **«إلى الفتية الذين ألمحهم بعين الخيال قادمين. فوجدتهم في واقع الحياة قائمين، يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم. مؤمنين بقرارة نفوسهم أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. إلى هؤلاء الفتية الذين كانوا في خيالى أمنية وحلما، فإذا هم حقيقة أعظم من الخيال. وواقع أكبر من الآمال. إلى هؤلاء الفتية الذين**

---

١ – حلمي النمنم سيد قطب: سيرة التحولات ص٢٦ . الكرمة للنشر القاهرة ٢٠١٤م.

انبثقوا من ضمير الغيب كما تنبثق الحياة من ضمير العدم، وكما ينبثق النور من خلال الظلمات..

إلى هؤلاء الفتية الذين يجاهدون باسم الله، في سبيل الله، على بركة الله، أهدى هذا الكتاب».

وهكذا عرف الشهيد سيد قطب دعوة الإخوان المسلمين، وبدأ يعمل لا بقلمه فحسب ولكن بكيانه كله وطاقاته الخلاقة في التنظيم ووجدانه النابض بالحياة ليحكم شرع الله في الأرض. [1].

وهذه الرواية التي يحكيها صلاح شادي هي رواية شفاهية؛ لأنه لم يوثقها في كتاب ألفه سيد قطب، والقصة فيها زيادات وتغييرات لم يذكرها صاحب القصة نفسه، مثل: .

١ – سيد قطب كان مريضا محتجزا في المستشفى.

٢ – أنه لاحظ البهجة والسرور يغمران الممرضات والمرضى.

٣ – أن سيد سألهم.

٤ – ذهل حينما علم سبب فرحهم.

٥ – قالوا: لقد تخلصنا من عدو الغرب...

ونحن نتساءل أين كان يعالج سيد قطب حينئذ، هل كان يعالج في مستشفى تابعة للمخابرات الأمريكية، حتى يكون المرضى والممرضات ملمين بأحوال العالم بهذه الدقة، ويبتهجون البهجة الشديدة تلك لمقتل حسن البنا في

---

١ - الشهيدان حسن البنا وسيد قطب ص٦-٧.

مصر، مع الملاحظة أن ذلك كان عام **١٩٤٩**م.

فالذي نريد أن ننبه عليه هنا هو غياب منهج التوثيق، وسيطرت عقلية الخرافة التي تشيع الكذب وتستسيغه في رواياتها، وهذا كما سبق بيانه ميزة تلك العقلية الساذجة الهشة.

والأمر الآخر أن صلاح شادي ينقل لنا كيف وجهت تلك الحادثة تفكير سيد قطب ورسخت في وجدانه أن ينقلب على أصدقائه من الضباط الأحرار وينضم إلى الإخوان المسلمين، ولم يستغرب شادي هذا الأمر أو يتوقف عنده، كيف لموقف كهذا مليء بالظنون والتوهمات يؤثر في حياة الإنسان ويغير وجهته.

وهنا نرجع إلى العنوان الرئيس، وهو كيف أن الشخصية المتطرفة كثيرة التحولات وتتخذ مواقفها في الحياة بناء على عقدة من الاضطهاد والظلم، أنا ـ هو ـ مظلوم مضطهد إذن أنا ـ هو ـ على الحق، والعكس أنا على الحق إذن من الطبيعي أن أكون مظلوما ومضطهدا، طالما الإخوان المسلمون مضطهدون فهم على الحق، وطالما الغرب يعاديهم فهم ضده وهم مع الإسلام والعروبة.

ونلفت الانتباه إلى أمر آخر وهو كيف يصر صلاح شادي بعد سنوات طويلة على أن كلام سيد قطب في مقدمة كتابه العدالة الاجتماعية كان المعنيُّ به الإخوان المسلمون، على الرغم من أن سيد قطب نفسه اعترف وصرح في كتابه لماذا أعدموني أن الوهم وحده هو الذي صور للإخوان حينئذ أنه يعنيهم بمقدمة كتابه، وأن الأمر على خلاف ما توهموا، فانظر إلى قوم يحرفون الكلم عن مواضعه حتى يفرحوا بالوهم والظن ويعيشوا فيه.

والرواية الشفاهية الثانية وهي التي حكاها عبد الفتاح الخالدي نقلا عن محمد قطب وذكر فيها:

وقد لاحظ سيد مظاهر الفرح والابتهاج . بل والشماتة . التي عند الأمريكيين لاغتيال المرشد حسن البنا، كما اطلع على سرور الصحفيين والمراقبين، كما بدا في تحليلاتهم وتعليقاتهم في الصحف الأوروبية والأمريكية. حيث اعتبروا حسن البنا أخطر رجل في الشرق، وبقتل حكومة مصر . العميلة . له، تخلصوا من خطره عليهم، كما اعتبروا جماعة الإخوان المسلمين، أخطر جماعة وتنظيم في بلاد المسلمين، لوقوفها في وجه المخططات الغربية والشرقية والصهيونية، ضد الإسلام والمسلمين[1].

وغير ذلك من الروايات الشفهية لهذه القصة والتي ترددت في أدبيات الإخوان وعلى لسان أقطابهم مثل: مصطفى كامل، وعبد الكريم الصفتي، وكمال السنانيري، وفي قصصهم أن الأمريكيين كانوا يتبادلون الهدايا ويوزعون الشيكولاته، ويهنئون بعضهم بالأحضان، والكنائس هي الأخرى تضرب أجراسها، وغير ذلك من الإدراجات والتتاليات المتوهمة والكاذبة.

فالخالدي نقص من رواية شادي مسألة أن قطب كان مريضا بالمستشفى، وحذف مسألة الممرضات، ووضع بدلا منها اطلاع سيد على فرح الأمريكيين وشماتتهم، ليخرج بالكادر من رجل مريض لا يطلع إلا على الممرضات والمرضى إلى رجل شاهد عموم الأمريكان في شوارعهم يشمتون

١ - سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد ص٣١٨.

بمقتل حسن البنا، وكذا الرجل المريض لا يمكنه أن يطلع على تحليلات وتعليقات ومقالات الصحفيين التي عَدَّت حسن البنا أخطر رجل في العالم كان يعوق مخططاتهم الصليبية من التنفيذ. والحديث ليس عن أمريكا وحدها بل عن أوروبا أيضا والشرق والغرب.

ويكمل الخالدي كلامه فيقول: الحادثة الثانية: جهود رجل المخابرات البريطاني جون هيوورث دن في تحذير سيد من خطر الإخوان المسلمين.

جاء جون هيورث دن من بريطانيا إلى مصر، وهناك درس في جامعتها، وتعرف على المسلمين فيها، بهدف الرصد وجمع المعلومات، ثم ادعى الإسلام، وتسمى باسم جمال الدين دن وتزوج من مصرية مسلمة تدعى فاطمة، ثم غادر مصر إلى أمريكا، واستقر هناك مدرسا في جامعاتها.

وقد التقى دن في أمريكا بسيد قطب أكثر من مرة، وحاول احتواءه لمصلحة المخابرات الإنجليزية! أهـ.

إن هذا الكلام يثير الريبة والشك في سيد قطب نفسه، ولا تدري هل المتحدث عن سيد أحد أبنائه وأتباعه أم عدو له يريد أن يلقي الشك في نفس القارئ عن شخصيته، فرجل من المخابرات البريطانية صديق لسيد قطب، يذهب إليه في أمريكا عدة مرات ليلتقي به، ويحدثه عن الإخوان المسلمين، وعن حكام أمريكا.

ويشكك صلاح الخالدي في صدق هيورث دن في اعتناقه الإسلام، فيقول: ادعى الإسلام.

وكل ما سبق من رواية مكتوبة عن حادثة سيد قطب في أمريكا

والروايات الشفوية المنقولة عنه، كلها ظنون وتوهمات، فعندما تعيد قراءة كلام سيد قطب السابق تجد أنه يظن ظنا، ويتخرص بأمور لا أصل لها، ويربط بين أحداث ليس فيها دلالة على ما توصل إليه، فَحَرَمُ فلانٍ تخرجت من الجامعة الأمريكية على ما يَذْكُر فهي إذن وزوجها وجماعته مؤيدة من أمريكا، فلانٌ يَكْرَهُ الإخوان ويحرض عليهم الثوار إذن فلان وجمعيته هُمْ من دبروا حادثة المنشية على ما يَظُنّ، وإخوانه في المعتقل يُخْفُون عليه الحقيقة وهو يَجْهَلها ويَكْذِبُون عليه. وهم من نَفَّذَ العملية. يقولون: فِيهَا سِرٌّ لا ندريه.

فأنا أخاطب كل عاقل سار وراء هؤلاء القوم ألا يكون مثله كمثل من يسير وراء كل ناعق بما لا يعلم إلا دعاء ونداء، فهذه العقليات لا تستحق الريادة ولا القيادة لا الفكرية ولا السياسية ولا الدينية، ونحن لا نقول ذلك حيث نضطهدهم كما يظنون أو نحقد عليهم أو نريدهم أن يحيدوا عن حق كانوا عليه، وإليك بيان كذبهم:

أولا: الصحافة الأمريكية وكذا الإنجليزية لم تتعرض بأي صورة كانت للشماتة أو الفرح في مقتل حسن البنا، بل إنها لم تعبأ بذلك إلا حيث نُشِرَ الخبر في صفحة داخلية في جريدتين فقط من أكثر من ألف وستمائة جريدة تصدر في أمريكا حينئذ، وهما النيويورك تايمز ولوس أنجلوس تايمز، في الصفحة الخامسة والصفحة الثانية عشر، وأما الصحافة البريطانية فلم تعرج أصلا على هذا الخبر من قريب أو بعيد.

ثانيا: أن ما حكاه سيد قطب عن مظاهر البهجة والفرح والسرور، وما روي عنه شفاهة من تبادل الناس للهدايا وضرب الكنائس أجراسها، كل

ذلك كان بمناسبة عيد الحب أو الفالنتين داي كما يسمونه، وقد وافق يوم قتل حسن البنا، وإنما الوهم هو ما صور لسيد ومن سمع قصته أن كل تلك المظاهر سببها الشماتة بمقتل حسن البنا.

ثالثا: رواية المستشفى والتي قصها صلاح شادي، تدل على إيغال في عقلية الخرافة والوهم، لأنه سرعان ما ربط سيد بين قول الممرضات وما يدور في ذهنه من تفكر في حادثة مقتل حسن البنا، وهو الأمر الذي لم يَدْرِ عنه الممرضات شيئا ولم يطلعوا عليه، ولكنهم ربما قالوا له: نحتفل بموت شخص ما. سخرية منه على جهله بعيد الحب، فظن أنه حسن البنا.

رابعا: إن الكتاب الذي أشار إليه سيد لهيورث دن ترجم إلي العربية، واطلعنا عليه ولم نجد فيه أي حرب أو انتقاد لجماعة الإخوان المسلمين، وإنما في بعض الأحيان إعجاب وإشادة بهم.

فعندما خالفت جماعة الإخوان المسلمين نصيحة رسول الله ﷺ والتي تركنا عليها في المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك صَدَرَت منها انحرافات بليغة عن صحيح الدين، فأفسدوا في الأرض كذبا وعنفا واعتداء على خلق الله، واستساغوا أن ينقادوا لمثل هؤلاء القادة أرباب العقول الهشة والتفكير السقيم، والذين قادوهم إلى الهلكة والفتنة بين الناس جميعا والمسلمين خاصة، وأصبح من المألوف والشائع بينهم عصبية ونصرة للجماعة السير بمنهج الوضاعين والكذابين والمجهولين والمنكرين، والذين ظهروا في كل ديانة عبر الزمان والمكان فأفسدوها وحرفوا الكلم عن مواضعه، وآمنوا ببعضه وحادوا عن بعض، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا،

فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﷺ أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم، ومعذرة إلى ربنا ﷻ ومحاولة لإرشاد الشباب إلى حال النبي المصطفى والحبيب المجتبى، عرجنا على هذه الحالة الكاشفة لترهات الإخوان المسلمين وجماعات العنف.

النظرة إلى الحياة:

نموذج المحبة ينظر إلى الحياة على أنها هبة من الله الحي القيوم، يجب احترامها، ويحرم التفريط فيها أو الاعتداء عليها، والله هو رب الدنيا والآخرة وخالقهما. قال تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ [النجم: ٢٥].

والفعل المذموم من الإنسان هو الالتهاء بالدنيا والغفلة عن الآخرة، لأن في ذلك الخسران، فتضييع الباقية لأجل الفانية، فالدار الآخرة هي الحيوان، يعني فيها السعادة الكاملة والأمن الكامل والخير الدائم، فلا مقارنة بينها وبين الدنيا القصيرة التي لا ينعم فيها الإنسان بالخلود.

فالمؤمن يسعد في حياته الدنيا ويسعى لذلك ويعمل له ولكنه يظل دائما ذاكرا لآخرته، مراقبا للفلاح فيها.

قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: بَعَثَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ **«خُذْ عَلَيْكَ ثِيَابَكَ وَسِلاَحَكَ ثُمَّ ائْتِنِى»**. فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَصَعَّدَ فِي النَّظَرَ ثُمَّ طَأْطَأَهُ فَقَالَ **«إِنِّى أُرِيدُ أَنْ أَبْعَثَكَ عَلَى جَيْشٍ فَيُسَلِّمَكَ اللَّهُ وَيُغْنِمَكَ وَأَرْغَبُ لَكَ مِنَ الْمَالِ رَغْبَةً صَالِحَةً»**. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَسْلَمْتُ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ وَلَكِنِّى أَسْلَمْتُ رَغْبَةً في الإِسْلاَمِ وَأَنْ أَكُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-. فَقَالَ: **«يَا عَمْرُو**

نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ».[1]

قال حكيم بن حزام: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم سألت فأعطاني ثم قال رسول الله ﷺ: **«يا حكيم بن حزام إن هذا المال حلوة خضرة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى»**. قال حكيم: فقلت: يارسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا. فكان أبو بكر يدعو حكيما فيعطيه العطاء فيأبى، ثم كان عمر بن الخطاب يعطيه فيأبى، فيقول عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم بن حزام أني أعرض عليه حقه الذي قسم له من هذا الفيئ فيأبى يأخذه، قال: فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس بعد رسول الله ﷺ حتى توفي.[2]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: **«الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ».**[3]

وكان النبي ﷺ يسأل الله الغنى ويستعيذ من الفقر ويسأله العفو

١ - مسند أحمد:ج٤/ص١٩٧ ح١٧٧٩٨.

٢ - صحيح ابن حبان:ج٨/ص١٤ ح٣٢٢٠.

٣ - صحيح مسلم:ج٢/ص١٠٩٠ ح١٤٦٧.

والعافية في الدنيا والآخرة.

والمسلم تبعا لنموذج المحبة يفهم حقيقة الدنيا فيسعى لامتلاكها والسيطرة عليها، ولكن لا يجعلها تقوده أو تتحكم في هواه وقلبه، ولا يكرها ولا يحاربها ولا يفشل فيها، وإنما يعمرها وينتصر فيها ويأخذها بقوة وعزيمة، يسوقها إلى مراد الله ﷻ وإلى حيث تكون مزرعة للآخرة.

أما نموذج الكراهية فهو ينظر للحياة الدنيا على أنها شر كلها، يعيش فيها المؤمن خاصة ابتلاء خالصا وبلاء دائما، والكافر يأخذ حظه من الدنيا في المال والجمال والقوة، وأما المؤمن فحظه أو نصيبه الدين فقط.

وهذا كلام غير صحيح فالله يعطي الإنسان من الدنيا على قدر سعيه وعمله فيها سواء كان مسلما أو غير مسلم، ولم يُؤْثِر سبحانه الكافر بعطاء الأسباب الدنيوية ويحرم منه المؤمن حاشاه.

ولكن نموذج الكراهية ترسخ في عقله ووجدانه أن الدنيا هي مقابل للآخرة، وسيطر هذا الأمر على سلوكه، حتى تصور أن خسران الحياة الدنيا هو مكسب في الآخرة والعكس، فيرغب في اعتزال الحياة وترك عمارتها، ويهجر الناس أو يتعالى عليهم، ويعرض عن العمل الدؤوب، ويدخل في سلسلة من السلوكيات الخاطئة التي بناها على فهمه السقيم.

وفشل المرء في دنياه أو سوء عمله فيها تبعا لهذا النموذج لا يعني عنده شيئا، لا يكدر صفوه أو يعكر مزاجه، فهو يجد مبررا لذلك وسببا يعلق عليه وهو تدينه واهتمامه بأمر الآخرة، والتدين عنده ما هو إلا زيادة كراهية في الدنيا والإعراض عنها، فهي دائما صارفة له عن الآخرة، وتجد هذا الإنسان في

ظاهره معرض عن الشهوات مترفع عنها، وفي باطنه تجد الشهوات وقد استحوذت عليها وسيطرت على قلبه.

الحوار والتعايش:

نموذج المحبة يؤمن بالحوار كوسيلة للتعايش مع الخلق والتواصل معهم، كما أمر سبحانه فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

فهو يفهم أن التعارف أمر ومقصد، وبناء على هذا التصور فإنه يؤمن بالتعددية، ويقبل بوجود الآخر في المجتمع، ويحترم حقه في الحياة وفي الاختيار وفي العقيدة وفي الدعوة وفي إقامة شعائره الدينية ويقدر له نصيبه في الوطن.

ونموذج المحبة كذلك ليس متعاليا على الآخر بل يراه مساويا له في الإنسانية وأخا له في الانتماء إلى آدم وحواء، فالله واحد وخلق الإنسان من نفس واحدة، فلا تجد المسلم ينظر للآخرين بدونية أو عنصرية أبدا.

وفي المقابل نجد نموذج الكراهية تصادمي راديكالي عنيف، لا يعترف بالحوار ولا يحسن إدارته، وذلك لأنه لا يؤمن بقيمة التعايش مع الآخر، ولا يؤمن بحق الآخر في الاختيار ولا مساواته، فإما أن يستجيب المعارض له أو فلا خيار إلا السيف، وبناء عليه فتجده ينظر إلى الآخرين بكبرياء وعنصرية.

ويرى أنه حينما تدين أو أقام عبادة أصبح مختارا من الله يحق له أن يتميز على الخلق ويتمايز عليهم، ويقسمهم فريقا في الجنة وفريقا في السعير، وهم في ذلك يشبهون اليهود الذين زعموا أنهم شعب الله المختار، وأنه لن يدخل

الجنة إلاهم.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٤٩ – ٥٠].

بينما يرى نموذج المحبة أن إيمانه تكليف من الله قبل أن يكون تشريفا له، ويرى أن تواضعه لخلق الله هو رأس منظومة القيم الأخلاقية وهو السبيل لمحبة الله ورضوانه، فهو كلفك فشرفك وشرفك فكلفك.

ونموذج المحبة يدرك جيدا أن الله الواحد الأحد هو صاحب الإرادة في هذا الكون، وهو يفعل ما يريد ويحكم ما يشاء لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه، ولا حول ولا قوة إلا به، لا سلطان في الكون إلا له، فيخضع المسلم لسلطان ربه فيما قضى به وحكم، لا يتعالى ولا يرفض حكم الله فيه وفيمن حوله.

يرضى المسلم عن نوعه ذكرا أو أنثى ويرضى عن وطنه ويرضى عن أمه

وأبيه ويرضى عن مثل ما ذكر من الأحكام القهرية الكونية، ويرضى أن الله يؤتي ملكه من يشاء وينزعه عمن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء، لا يرى لنفسه أحقية في الأخذ من كون الله وعطائه وفضله إلا ما قسمه ﷻ تفضلا ومنًّا لا استحقاقا، ويعطي سبحانه غيره، فهو صاحب الملك له ملك السموات والأرض، ليس للمرء أن يعترض، كما اعترض اليهود والنصارى على نزول الوحي على سيدنا محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

وكذلك يؤمن المرء تبعا لنموذج المحبة بكرامة الإنسان كخليفة لله في أرضه، ويحترم إرادة الله فيه، بأن مكنه من الاختيار الحر بين الإيمان والكفر، ويحترم عطاء الله وتكريمه للإنسان مطلق الإنسان، ويحترم أيضا مكنة الاختيار التي وهبها الله.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ * وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ

عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

فلا يفكر أبدا في إكراه أحد على الإسلام أو إكراهه على الخروج من دينه وعقيدته، لأن ذلك محادة لله ﷻ في إرادته.

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩].

والاستفهام في قوله: ﴿أَفَأَنتَ﴾ استنكار لفعل الإكراه، لأنه بغيض، ولأنه لن يكون، فأنت يا أيها الإنسان لا يمكنك أبدا أن تفعل عكس مشيئة الله، فارض.

لا يحق لي أن أكره وجود غير المسلم في الحياة ولا أكره حقه وحريته في الاختيار، لأن ذلك محادة لله وكراهية لصنعه، نعم أنا لا أؤمن بما اختاره المخالف واعتقده ولا أرضى عما سلكه من شرك أو إلحاد، ولكن هناك قاعدة تقول: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ * لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ *وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ * وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ *وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ * لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون].

وأما نموذج الكراهية فيرى في نفسه السلطان والمسئولية عن الخلق، تجده يتحدث عن الولاية على الناس، والقهر على توجهاتهم واختياراتهم، وكأنه يملك القلوب يقلبها كيف يشاء، يتحدث عن نفسه فيقول: .

أن أفرض سلطان الله وأفرض حكمه وأفرض شريعته، وأُكْرِه الآخرين على الدخول في دينه الحق، وترك ما عداه، وأسوق الناس إلى الطاعة كرها،

وأحارب من يعاديني ومن يكفر بالدين ومن يكفر بالله أو ارتد عن الإسلام. حسب فهمه.

ولا تقدير ولا احترام لإنسانية كافر، ولا حق له في الحياة أو الحرية، ولا كرامة له كمخلوق وإنسان، بل كل ذلك تعبير عن رضانا بشركه وكفره، وتأييد له على إلحاده، وولاء له ولقومه، وكل ذلك شرك وردة.

وعليه. حسب نموذجه. يربون أبناءهم وأتباعهم على الكراهية والحقد والعنف ضد الآخر، والتمايز والتفرقة والبراء من الكافرين والمرتدين. المخالفين.

الإبداع:

نموذج المحبة يرى الجمال في كل شيء ويقدر الموهبة البشرية التي تحاكي الطبيعة وتبرز جمالها وتنقل تفاصيلها، والشريعة تحث على الإتقان والإحسان والإبداع في كل فعل.

فالرسام بريشته وخطوطه وألوانه، والخطاط بحروفه، والعازف بألحانه، والمنشد والمغني بصوته، والشاعر ببحوره وصوره، كل ذلك تعبير عن روح الإنسان وعن جمال الخلق، ويجعل المرء أقرب من ربه وأقرب إلى الإيمان به.

فالجمال دعوة، والجمال إيمان، والجمال هو الله ﷻ، الذي تجلى علينا في صفاته وأسمائه البديع الرؤوف الرحيم المحسن الودود.

قَالَ ﷺ: **«إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ»**.(١)

قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ قَالَ: قال رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: **«إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»**.(٢)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلاَنِ مِنَ الْمَشْرِقِ، فَخَطَبَا، فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: **«إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»**.(٣)

أما نموذج الكراهية فيرى في الإبداع فسقا وانحرافا، أو على الأقل لا يلتفت إليه ولا يقدره، فالإبداع لغو وإعراض عن الآخرة يصرف عن الذكر ويصرف عن العبادة.

ونحن نقول: إن معجزة القرآن الكريم ورسالة النبي المصطفى هي في جمال القرآن وروعة نظمه وحسن منطقه، ولقد انجذب إليه العرب انجذابا وأدركوا جماله وإعجازه فدخلوا في دين الله أفواجا وأيدوا محمدا ﷺ، ولولا أنهم قوم عرفوا الإبداع اللغوي وتذوقوا جمال العبارة وجمال الصورة لما مس قلوبهم الإيمان بالقرآن وأثر فيهم هذا التأثير.

---

١ - صحيح مسلم:ج١/ص٩٣ ح٩١.

٢ - صحيح مسلم:ج٣/ص١٥٤٨ ح١٩٥٥.

٣ - صحيح البخاري:ج٥/ص١٩٧٦ ح٤٨٥١.

ولذلك وجب علينا أن نربي أبناءنا على الإبداع والجمال أو على الأقل أن يدركوا الجمال ويتذوقوه في كل شيء ويميزوا بينه وبين القبح والفساد، فهذا الضمير وتلك الفطرة هي أكبر حصن نحصن به أبناءنا، لأنهم بفهمهم للغة العربية وتذوقهم لجمالها يعرفون قدر القرآن وجمال أسراره، ويدخل الإيمان إلى قلوبهم وعقولهم، فينعكس ذلك على سلوكهم وتصرفاتهم، فملكة التذوق والتمييز هي الوسيلة والأداة لتدبر القرآن وإعماله في الحياة وفتح أقفال القلوب.

قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤].

فإن الله لم يصمهم أو يعمهم على الحقيقة، وإنما صموا عموا عن الجمال وعن الحقيقة، وصارت قلوبهم غلف، وطبع الله عليها، وصار في آذانهم وقر، وذلك لأنهم وضعوا على قلوبهم وحواسهم أقفالا.

الحرب والصراع:

نموذج المحبة يرى السلام أصلا في علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، بل يرى فضله وشرفه في حب الناس والعطف عليهم، يعفو عنهم إن أساءوا إليه ويصبر عليهم إن آذوه، بل يسامح ويقابل السيئة بالحسنة، ويدفع بالتي هي أحسن، ينام ويقوم يرجو لقاء صديق لا يتمنى لقاء عدو، ولا يرجو لنفسه الهلكة والعذاب.

قال النَّبِيُّ ﷺ: **«إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا كَانَ مُخَالِطًا النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الْمُسْلِمِ الذي لاَ يُخَالِطُ النَّاسَ وَلاَ يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»**.(١)

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أيها الناس لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَّ الْعَافِيَةَ»**.(٢)

وأما نموذج الكراهية فينام ويقوم على سيرة الحرب، يترقب لقاء العدو ويتمناه، يرى الموت غاية وهدفا، فيدعو الله أن يموت فيستريح من الدنيا وعنائها ومشاقها، ولكنه يقول: أموت في سبيل الله. ولا يقول. مصارحا نفسه .أموت مستريحا من دنيا الناس، وهربا من الصبر على تحمل المسئولية والأمانة في عمارة الأرض والقيام بواجبات الخلافة فيها ودعوة الناس إلى الإيمان بالله وحده.

ويرى نموذج الكراهية أن الآخر هو الجحيم وأن كل الناس أعداء له، وليته أوتي قوة ليسحقهم وينتقم منهم، وهو متعطش لمحاربتهم والعدوان عليهم؛ لأنهم كما يعتقد يضطهدونه ويحاربونه ويفشلونه ويكرهونه.

الوعي قبل السعي والعلم يسبق العمل:

في نموذج المحبة يبدأ صاحبه كل خطوة بوضع المنهج والخطة، ثم يشرع في العمل، يفهم الإيمان بالله ثم يقدم على العمل الصالح، يسأل ويتعلم الفروض والأحكام ثم يعمل بما علم، يتعلم الفقه والأصول والعلوم الشرعية

١ - سنن الترمذي: ج٤/ص٦٦٢ ح٢٥٠٧.

٢ - صحيح البخاري:ج٣/ص١٠٨٢ ح٢٨٠٤.

ثم يتحدث بها ويفتي الناس ويرشدهم، يحصل أدوات المعرفة والاجتهاد ويحسن مناهجه ويتعرف على مفاهيمه ويربي ملكة ذلك في نفسه ثم يُقْدِم على الاجتهاد والتجديد.

والمسلم حسب نموذج المحبة يحترم العلم ويقدر أهله ويكرمهم، ويعرف جيدا قيمة التراث وما بذله الأولون من مجهودات واجتهادات، لا يسفه أبدا علمهم أو ينتقص من آرائهم، بل ينظر إليها على أنها واجب وقتهم عملوه حسب جهدهم، ومن ثم يجب الاستفادة من مناهجهم وقواعدهم والاجتهاد مرة أخرى لوقتنا وعصرنا حتى نجدد العلم وننميه، فالتراث خبرة أجيال يجب أن يحترم كله، وإن كان فيه الثابت وفيه المتغير.

وفي المقابل فإن نموذج الكراهية والحقد يتميز دائما بالكبر وبطر الحق وغمط الناس، فتراه يسرع ويتعجل في العمل قبل إحسان العلم، ويسعى قبل أن يعي ما يسعي فيه وإليه ويحقق نيته وأهدافه ومقاصده من العمل، فتراه يتصدر باسم الدين ويتحدث في الناس على أنه إمام عالم بأحكامه وقواعده فيفتيهم بجهل فيضلهم ويحرِّف لهم وينحرف بهم عن جادة الطريق المستقيم والمحجة البيضاء.

ونموذج الكراهية لا ينكر أنه يفعل هذا، بل يرى هذا الخطأ صوابا وحقا، ولا ينكر أنه يقع فيه، ولكنه يتخذ من هذا الخطأ منهجا وسبيلا، فتراهم يتواصون بينهم وبين أنفسهم ويوجهون أتباعهم إلى العمل . تحت مسمى الجهاد أو العبادة أو الولاية . قبل العلم، بحجة أن الثواب والأجر يعطى للعامل، وبحجة أن الحق والصلاح واضح مبذول لا غبش فيه ولا مراء، وأن

الحق هو ما يدعون الناس إليه لا غير، فعلى مستمعهم ومتبعهم ألا يتعب نفسه ويجهدها أو يضيع ثوابه ووقته في البحث عن الحق أو الحقيقة، وإنما يكفيه أن يهتدي بهديهم ويتبعهم؛ فإنهم قد كفوه عناء ذلك فأرشدوه إلى الصلاح.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ * حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٨].

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التوبة: ١٩].

فسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام هو عمل صالح وفيه خير، ولكن يعاب عليه أنه لم يُسْبَق بآيمان بالله وإقرار بلقائه وحسابه. فكان المشركون في مكة يعمرون المسجد الحرام بإقامة الأصنام والأوثان حوله، ويرون في ذلك تعظيما وتشريفا وعمارة له، وليس الأمر كما زعموا أو حسبوا، وذلك لأنهم تركوا الإيمان بالله وتركوا العلم بما أنزله والإيمان بلقائه وحسابه، فضلوا وأضلوا، وكان عملهم سعيا بغير وعي.

والنابتة من المتطرفين في أيامنا هذه يدعون الشباب إلى الهجوم على القتال دون رؤية واضحة، ودون علم بشروط الجهاد وآدابه وأهدافه، ومتى يبدأ، ومتى يتوقف، وضد من يكون، وغير ذلك؛ فالعلم عندهم يأتي في

مرحلة متأخرة.

يقول محمد عبد السلام: «**وحَدُّ العلوم: أن من علم فرضية الصلاة فعليه أن يصلي، ومن علم فرضية الصيام فعليه أن يصوم، كذلك من علم فرضية الجهاد، فعليه أن يجاهد، ومن يحتج بعدم علمه بأحكام الجهاد فعليه أن يعرف، أحكام الإسلام سهلة وميسرة لمن أخلص النية لله، فعلى هذا أن ينوي الجهاد في سبيل الله، وبعد ذلك فأحكام الجهاد تدرس بسهولة ويسر، وفي وقت قصير. قصير جدًا، والأمر لا يحتاج إلى كثير من الدراسة، ومن أراد أن يزداد من العلم فوق هذا الحد فليس هناك حكر على العلم؛ فالعلم متاح للجميع، أما تأخير الجهاد بحجة طلب العلم فتلك حجة من لا حجة له، وهناك مجاهدون منذ بداية دعوة النبي ﷺ، وفي عهود التابعين حتى عصور قريبة لم يكونوا علماء، وفتح الله على أيديهم أمصار كثيرة، ولم يحتجوا بطلب العلم، أو بمعرفة علم الحديث، وأصول الفقه، بل إن الله ﷻ جعل على أيديهم نصرًا للإسلام، لم يقم به علماء الأزهر يوم أن دخل نابليون وجنوده الأزهر بالخيل والنعال**»اهـ.[(١)]

وفي نفس الإطار يقول سيد قطب: «**إن فقه هذا الدين لا ينبثق إلا في أرض الحركة، ولا يؤخذ عن فقيه قاعد حيث تجب الحركة، والذين يعكفون على الكتب والأوراق في هذا الزمان لكي يستنبطوا منها أحكامًا فقهية (يجددون) بها الفقه الإسلامي، أو (يطورونه) وهم بعيدون عن الحركة التي تستهدف تحرير الناس من العبودية للعباد، وردهم إلى العبودية لله وحده**

١ - الفريضة الغائبة ص١٤.

بتحكيم شريعة الله وحدها وطرد شرائع الطواغيت، هؤلاء لا يفقهون طبيعة هذا الدين، ومن ثم لا يحسنون صياغة فقه هذا الدين»اهـ[١]

وهذه كارثة حيث يدعو هؤلاء أتباعهم إلى فعل ما نهى عنه سيدنا رسول الله ﷺ، وهذا ما نؤكد عليه دومًا أن ضلال تلك الفرق والجماعات: هو تركهم للمحجة البيضاء الناصعة التي تركنا عليها رسول الله ﷺ؛ فسيدنا رسول الله ﷺ ينهانا عن القتال تحت راية عمية، والراية العمية هي التي لا يتضح فيها الأمر ويكون جليا، وهؤلاء أصحاب الدين الموازي يدعون الشباب إلى القتال تحت راية عمياء صماء بكماء، إلى القتال في فتنة وقوع اللسان فيها كوقوع السيف، وهي راية الفوضى، وهي راية التوحش والدمار.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: **«مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِى يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلاَ يَتَحَاشَ مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلاَ يَفِى لِذِى عَهْدٍ عَهْدَهُ؛ فَلَيْسَ مِنِّى وَلَسْتُ مِنْهُ»**.[٢]

ترتيب الاولويات:

والأولوية في العمران بحسب نموذج المحبة هي للإنسان من حيث

---

١ – تفسير الظلال ٣/ ١٧٣٥.

٢ – صحيح مسلم: ج٣/ ص١٤٧٦ ح١٨٤٨.

تدريبه وتعليمه وتربيته وتزكيته، وإتقان صناعته، فالاهتمام يكون بالنوعية لا بالكمية، والعمران يكون بالإنسان قبل البنيان والساجد قبل المساجد، والأولوية تكون للنوعية قبل الكمية والكثرة.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢] وإحياء النفس يكون بالعلم والتنمية، وتوفير ضروريات المعايش، وتحقيق كرامة الإنسان ورفاهيته.

قال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وأما العمران حسب نموذج الكراهية فيكون بالكثرة والكم دون النوع، فتكون كثرة كغثاء السيل.

عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: **«يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»**. فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: **«بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ»**. فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا

الْوَهَنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ».(1)

فترى النابتة يفخرون ويعجبون بكثرة الأتباع وكثرة الأولاد ولا يلتفتون إلى الاهتمام بنوعية تلك الكثرة، وتراهم يهتمون بالبنيان ويجعلون لها الأولوية، يهتمون بكثرة المساجد والزوايا وإن لم تؤد دورها أو وظيفتها، أو قامت بضد ما هي له.

فكأنهم ورثوا وسائل المنافقين ومناهجهم في الصد عن سبيل الله وتفريق المؤمنين، فالمنافقون خرجوا على جماعة المسلمين في عهد سيدنا رسول الله ﷺ، وأنشأوا لأنفسهم مسجدًا وأقاموا جماعات خاصة (موازية)، فيما سمي في سيرة سيدنا رسول الله بـ**«مسجد الضرار»**، والذين نزل فيهم قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۞ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ۞ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٧ – ١١٠].

فإن المنافقين في عهد سيدنا رسول الله أظهروا الطاعة؛ حيث أقاموا

---

١ - سنن أبي داود: ج٤/ ص١١١ ح٤٢٩٧.

مسجدًا للصلاة، وحضروا فيه الجماعات، ودَعَوا الناس للتوافد إليه، ولكن حقيقة أمرهم أنهم كانوا يريدون تفريق كلمة المسلمين وإنشاء مؤسسة موازية للمسجد النبوي الشريف الذي يجتمع فيه الصحابة حول سيدنا رسول الله ﷺ، مما سيترتب عليه إعلاء قيادات موازية، والترويج لأفكار موازية من المؤكد أنها ستهدم المجتمع؛ لأن المنافقين إنما دعاهم للنفاق طلبُهم للسلطة، والسلطة دنيا، والدنيا تفرق ولا توحد أبدًا، فإن عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين كان يتطلع لأن يكون ملكًا على المدينة، ويرى في مجيء رسول الله ﷺ إلى المدينة ضياعًا لأحلامه وهدمًا لطموحاته في الملك.

الوطن والوطنية والمواطنة:.

في نموذج الكراهية المواطنة والوطنية بدع محدثة، وليس هناك انتماء للوطن، وإنما الانتماء يكون للأمة الإسلامية، ويكون للدين، ويكون للخلافة، والانتماء إلى الوطن متعارض مع الانتماء إلى الدين، وفكرة الدولة هي فكرة غربية مبتدعة، وهي قائمة على مفاهيم علمانية تضاد الدين وتصارعه، وغرضها صرف الناس عن الخلافة الإسلامية والانتماء الواسع والشامل للأمة.

أما الوطن بالنسبة لنموذج المحبة فهو جزء من الأمة، والولاء له مقدم حيث إن المصالح تتجمع وتتلاقى ولا تتعارض بين الوطن والأمة، وحب الوطن والانتماء إليه جزء من دين الإسلام ومأمور به في تعاليمه.

والوطنية فكرة مترسخة في وجدان الإنسان وفطرته، والدولة وإن كانت مفهوما عصريا ولكنه يمكن الاستفادة منه كأداة لحفظ قيام الشرعية وتطبيقها

وفاعليتها، وكأداة للمحافظة على الهوية والوجود الإسلامي من الذوبان والفقدان.

التزكية والتصوف:

نموذج الكراهية يعتبر تزكية النفس، وتطهيرها والقيام على معالجة الروح والنفس من آفاتها بدعة، وانصرافا عن ظاهر الدين وأحكامه، فتحولت العبادة في حالتهم إلى طقوس وحركات جوفاء جامدة لا انعكاس لها ولا تأثير على سلوك الإنسان وباطنه.

وتفرع على ذلك عدة أمور منها: التكاسل عن أداء الأعمال الواجبة والإعداد قدر الاستطاعة بالعمران والعمل، واستبدال ذلك بالدعاء والتواكل.

الضلال عن مفهوم العبادة الصحيح وهو الذي يشتمل على عبادة الله وعمارة الأرض وتزكية النفس. وكلها عبادة خلقنا لأجلها.

فقصر النابتة مفهوم العبادة على الشق الأول وهو إقامة الشعائر والفرائض والنوافل كالصلاة والصيام والحج والزكاة، فصار العمل والسعي والإنتاج والعمارة لهو ولغط يصرف الإنسان عما خلق له، وليس له أجر في ذلك، فصار في عرفهم الاحسان والإتقان في العمل الدنيوي ليس معتبرا كعبادة.

صارت العبادة والعمل الصالح عزلة عن الكون وانقطاع عن الناس وعن مصالحهم وواجباتنا نحوهم.

أما نموذج المحبة فهو يرى العمل الصالح والذي يأتي تبعا للإيمان بالله

هو كل ما ينفع النفس وينفع الخلق، بل العمل الصالح الذي يتعدى نفعه إلى خلق الله هو أكثر ثوابا وتقربا إلى الله ﷻ من الأعمال الصالحة التي يتوقف نفعها عند الفرد.

قال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [ص: ٢٨].

قال تعالى: ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ ﴾ [الكهف].

فلينظر أي فليجتهد وليبحث ويفتش حتى يأتي بأزكى طعاما أي ما صنع بإتقان أي ما كان نظيفا طاهرا، فالمسلم دائما يتقن عمله، ويبحث عن الجمال فيه، لا يرضى بالقذر أو بالدونية ولا يتكاسل عن العمل وعن بذل الجهد.

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فالصلاة لها مبنى وهو أركانها وشروطها من وضوء وركوع وسجود وغير ذلك، ولها معنى وهو دلالتها على الخير والهدى ونهيها وزجرها صاحبها عن الفحشاء والمنكر والظلم والعدوان، وهكذا كل عبادة لله ﷻ لها معنى ومبنى، لها ظاهر وباطن، ولا خير في عبادة أقمنا ظاهرها وضيعنا باطنها ولا ثواب فيما أتينا مبناه وضيعنا معناه ومقصده.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] والعبادة هنا بمفهومها الشامل العام وهو عبادة الله وعمارة الأرض وتزكية النفس، العبادة هنا بمعناها ومبناها، العبادة هنا القيام بمهام الإنسان وأمانته

التي كلف بها وهي خلافة الله في أرضه، وعمارتها.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] يرثون الأرض بصلاحهم يرثون الأرض بعمارتها يرثون الأرض بالحق والهداية والرحمة بالخلق. لا بالفساد فيها وسفك الدماء.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [البقرة: ٣٠].

يرثون الأرض بالعمل والكد والاجتهاد ومراقبة الله في ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

فالعمل هنا مأمور به وهو عبادة، والعمل هنا هو العمل الصالح والعمارة والتربية والتزكية التي يراقبها الله ويراقبها رسوله ويراقبها المؤمنون والصالحون.

وأما نموذج الكراهية فيُرِى أتباعه الموت في سبيل الله أغلى الأماني وأسماها، وهذا على عكس ما كان يُرِي سيدنا رسول الله ﷺ أصحابه.

كَانَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِى لَقِىَ فِيهَا الْعَدُوَّ يَنْتَظِرُ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ فَقَالَ **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا»**.(١)

---

١ - صحيح البخاري: ج٦/ ص٢٦٤٤ ح ٦٨١٠.

وقَالَ النَّبِىُّ – ﷺ – **«لاَ يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ فَاعِلاً فَلْيَقُلِ اللَّهُمَّ أَحْيِنِى مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِى، وَتَوَفَّنِى إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِى»**. (1)

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾ [النساء: ٩٤].

وقال تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴾ [النساء: ٩٠].

فعلى عكس المحجة البيضاء التي تركها لنا رسول الله ﷺ، يروج أصحاب نموذج الكراهية لأتباعهم الموت مردفين إياه بـ **«في سبيل الله»**. فيخوضون بهم حروبا لا تنقطع ضد كافة الخلق في كل مكان وتحت رايات عمية، وبدون هدف واضح ولا غاية قيمية ولا مقاصد شرعية مرعية، ولا دوافع من عقل أو منطق، فيشكلون بذلك نمطا من التفكير يردد مثل هذه العبارة فتؤثر في عقله وفي سلوكه، فلا يغدو إلا مفكرا في الموت ولا يرى راحة

١ – صحيح البخاري:ج٥/ص٢٣٣٧ ح٥٩٩٠.

إلا فيه ويتعلق به تعلقا شديدا أكثر من الشرط الذي جعل للموت قيمة في ذاته وهو **«في سبيل الله»**.

فترى هذا النمط من الناس يتحين الفرصة للصدام والتعادي مع الآخرين ويرغب في العنف، فهو الطريق الذي يقربه من الأمنية التي يرجوها وهي الموت في سبيل الله.

أما الموت فهو في نظر نموذج المحبة، وإن كان في سبيل الله وإن كان شهادة لصاحبه، فهو في حد ذاته ليس الأمنية التي يرجوها المسلم أو ينتظر الأجر عليها، ولكن يرى الشهادة حياةً وليست موتا، يراها حياة للشهيد عند ربه في جنة الخلد وحياة للأمة من بعده، وأن روحه التي قدمها فداء هي حياة وهبها لغيره من إخوانه وأبنائه، وأن النصر والعزة هي الأمنية، ولذلك قد ينال المرء أجر الشهيد وإن عاش ومات على سريره؛ وذلك أنه لم يجبن ولم يضن بنفسه في سبيل ربه.

فحسب نموذج المحبة يحرص المسلم على الحياة ويحافظ عليها، ولا يكره لقاء الله أو يخاف من الموت في سبيله، فالحياة في سبيل الله أسمى أمانينا.
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ قَالَ: **«مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ»**.[1]

---

١ - سنن الترمذي:ج٤/ص٥٦٦ ح٢٣٣٠.

وقَالَ ﷺ في صلح الحديبية: «**وَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللهِّ إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا**». (١)

يرغب في الحياة ولا يفتتن بها ويرغب في السلام مع الآخرين ويفرح به ولكنه لا يركن إليه فيضييع العدة والقوة.

فحياة المسلم فرصة لنشر الدين وتعليم الناس وتربية الأجيال وعمارة الدنيا، أما الموت فهو راحة لصاحبه وضياع لأجره وثوابه، فالرغبة في الموت هي رغبة في الهروب من مكابدة المشاق وتحمل الصعاب والعمل من أجل عمارة الدنيا ودعوة الخلق.

والإسلام قوة، قوي بحجته، قوي بوضوحه، قوي بالعقل والحكمة، قوي بالصدق والبرهان، والإسلام هو القوة التي تحرك المسلم وتنصره، ولكن يأخذه بقوة أي يتمسك به بقوة.

قال تعالى: ﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

والإسلام ليس في حاجة إلى قوة السلاح، فهو دين الاقتناع، يدعو إليه حسن الخلق، وينشره نجاح المسلم في دنياه.

والقوة والحرب والمصارعة تعطل حركة الدعوة، وانظر إلى المقارنة بين أعداد الخلق الذين دخلوا الإسلام قبل صلح الحديبية وبعده، تجد أن من دخل الإسلام وقت السلم أضعاف أضعاف من دخله وقت الحرب.

---

١ - صحيح البخاري:ج٢/ص٩٧٤ ح٢٥٨١.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ **«لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»**.(١)

القيم الأخلاقية:

حسب نموذج الكراهية فإن القيم الأخلاقية ليست معيارا لشيء من السلوكيات، وليست مطلقة، وليست مقصدا شرعيا، ويمكن للأحكام الشرعية الربانية أن تتعارض مع القيم الأخلاقية بحسب نظر العقلاء والحكماء.

ومن ثم فالرحمة ليست قاعدة لسلوك المسلم، بل يرحم بحسب تحقق مصلحته، يرحم من يستجيب له ويطيعه ويدخل في زمرته فقط، والوفاء بالعهود كذلك ليس قاعدة للسلوك بل هو مرهون بالمصلحة، وكذا العدل والسلام والإخاء والتعاون.

فالحياة بالنسبة إليه صراع دائم، والقيم يمكن أن تكون أدوات في ذلك الصراع.

والقيم الفاضلة التي دعى إليها الإسلام كالتراحم بين الخلق والمودة والإحسان ومعاملة الناس بالفضل والعفو كل هذه الأمور نافلة، وإنما العلاقات الاجتماعية. بحسب وجهته. تؤسس على الحق والمستحق، والمجتمع حقوقي قضائي، والدين ما هو إلا نظام قانوني قضائي سياسي يفصل بين

---

١ - صحيح البخاري:ج٥/ص٢٢٦٧، ح٥٧٦٣.

الناس في خصوماتهم.

وأما القيم الأخلاقية بحسب نموذج المحبة فهي مطلقة مبذولة للجميع من آمن بمثل إيمانه ومن كفر، من أطاعه ومن عصاه، من دخل في حزبه وجماعته ومن عارضه وعاداه، بل ومن سالمه ومن حاربه.

والقيم الأخلاقية يلتزم بها المسلم في جميع الأوقات في سلمه وفي حربه في بيعه وفي شرائه في عهوده وقضائه.

والمسلم مأجور عند ربه على الالتزام بهذه القيم الأخلاقية، ولا يصح أن تكون الكراهية أو المعاداة والصراع معطلات للتمسك بالقيم.

وهناك ثلاث درجات للتمسك بالقيم حسب الزمان والمكان والأشخاص والأحوال، ولكن لا تترك أبدا بحال، بل يحرص المسلم على استدعائها والركون إليها.

وقد جمعت الآية الكريمة الدرجات الثلاث، قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ *وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ * وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ * إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٥-١٢٨].

فالدعوة تكون:

١ – بالحكمة.

٢ – بالموعظة الحسنة.

٣ – المجادلة بالحسنى.

فإن اعتدي عليكم فـ ١- اعفوا واصفحوا.

وإلا فإن أردتم أن تردوا العدوان فإنه يكون: ١ – بمثل ما عاقبتم به. وتلك هي الدرجة الدنيا.

٢ – الصبر وتحمل الأذى. وهو خير، وتلك الدرجة الوسطى.

٣ – الإحسان. والله يحب المحسنين. وتلك الدرجة العليا.

فأدنى درجات المعروف هي أن يكف الإنسان أذاه عن الخلق.

عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ»**. قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ: **«يَعْتَمِلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ»**. قَالَ: قِيلَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: **«يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ»**. قَالَ: قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ؟ قَالَ **«يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوِ الْخَيْرِ»**. قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ ؟ قَالَ: **«يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ»**.(١)

وأما الدرجة الوسطى فهي المعاملة بالمثل أو المكافئة بأن يحسن الإنسان لمن أحسن إليه، ويكافئ من يبذل له المعروف.

عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- **«مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ»**.(٢)

---

١ - صحيح مسلم ٢/٦٩٩، رقم (١٠٠٨).

٢ - سنن الترمذي:ج٤/ص٣٨٠ ح٢٠٣٥.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- «مَنْ لاَ يَشْكُرِ النَّاسَ لاَ يَشْكُرِ اللَّهَ».(١)

عَنْ ابْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ – قَالَ: «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الذي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا».(٢)

وأما الدرجة العليا من الإحسان من الالتزام بالقيم.

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أَلاَ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَكْرَمِ أَخْلاَقِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؟ تَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ».(٣)

وقال تعالى عن درجة الإحسان: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ *وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) [فصلت: ٣٤-٣٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود:

---

١ – سنن الترمذي:ج٤/ص٣٣٩ ح١٩٥٤.

٢ – صحيح البخاري:ج٥/ص٢٢٣٣ ح٥٦٤٥.

٣ – سنن البيهقي الكبرى: ج١٠/ص٢٣٥ ح٢٠٨٨٠.

١١٤].

فالمحسن يدفع شر الناس وشره عن الناس بالخير والإحسان.

والدين جاء الناس ومساحة الأحكام العملية فيه لا تتعدى ٧٪ فقط بينما يشغل الباقي أحكام العقيدة والقيم الأخلاقية في معاملة الخلق.

فالأحكام الفقهية والتي تؤسس للمعاملات هي للفصل القضائي بين المتخاصمين، ولكن المجتمع الإسلامي يؤسس على مساحة كبيرة من التراحم والعفو والتفاضل بين الناس، ألا ترى عمر بن الخطاب وقد جاء يستقيل من وظيفة القضاء في خلافة أبي بكر الصديق؛ لأنه وجد المجتمع في غير حاجة إليه وإلى وظيفته.

تولى أبو بكر الصديق الخلافة فقام بتعيين عمر بن الخطاب قاضياً على المدينة ، فمكث سنة لم يختصم إليه اثنان، فطلب إعفاءه من القضاء، وقال: يا خليفة رسول الله ، لا حاجة لى عند قوم مؤمنين ، عرف كل منهم ما له من حق فلم يطلب أكثر منه، وما عليه من واجب فلم يُقصر في أدائه..

أحب كل منهم لأخيه ما يحبه لنفسه. إذا غاب أحدهم تفقدوه، وإذا مرض عادوه، وإذا افتقر أعانوه، وإذا احتاج ساعدوه، وإذا أصيب واسوه. دينهم النصيحة، وخلقهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ففيم يختصمون؟ .

فالمسلم حسب نموذج المحبة يرى مجتمعه بإيجابية، وينظر إلى جانب مشرق في عموم المسلمين وغيرهم، يعلم أن الإنسان فيه ضعف وأنه يخطئ ويصيب، فلا يرجم الناس دائما ويتهمهم بالتقصير وضعف الإيمان أو يُكَفِّرهم

ويحكم بردتهم عن الإسلام ودخولهم في الجاهلية، وإنما يلتمس نجاة الناس من النار، نجاتهم من الجاهلية ودخولهم الإسلام.

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا سمعت الرجل يقول: هَلَكَ النَّاسُ. فهو أَهْلَكَهُمْ»**.[1]

وأهلكهم كما قلنا تقرأ على وجهين: أهلكَهُم. على أنها فعل، أي هو من فعل بهم الهلاك وكان سببا مباشرا فيه. والثاني: **«أهلكُهُم»**. على أنها اسم، أي أنه أشدهم هلكة وأشدهم ضيعا وفسادا.

قال أبو هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ: **«إِنَّمَا مَثَلِى وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِى تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقْتَحِمُونَ فِيهَا»**[2].

فأما ما تفعله النابتة بجعل الأخلاق في سفح الهرم الديني فهو قلب للأمور، وجعل أدناها أعلاها وأعلاها أدناها، وهو إخلال بترتيب الأولويات، لأن الأخلاق لها الأولوية، وهي على رأس هرم المعاملات في حياة المسلم.

---

١ - صحيح مسلم:ج٤/ص٢٠٢٤ ح٢٦٢٣.

٢ - صحيح البخاري:ج٥/ص٢٣٧٩ ح٦١١٨.

علم أصول الفقه:

حسب نموذج الكراهية فإن الفقه والأحكام يؤخذ من النصوص مباشرة، بدون حاجة إلى علم أصول الفقه أو علم اللغة أو علوم أخرى.

فالوحي جاء بالدليل، ولم يكن أصحاب محمد ﷺ من الأعراب وغيرهم في حاجة إلى علم أصول الفقه الذي أسسه الشافعي في القرن الثاني الهجري، فخير القرون كانوا يَعْمَلُون ويُعَلِّمُون ويفتون من قبل ذلك بالوحي: القرآن، والسنة.

وإنما جعل الشافعي للعقل نصيبا في تحكيم الشريعة، ونحن نضع العقل أسفل أحذيتنا وهو أمر . بزعمهم . يقربهم من الله ﷻ ويدخلهم في الخضوع لحكمه، حتى لا نحكم الأهواء والأمزجة في شريعة ربنا، بل نقول: سمعنا وأطعنا.

وهذا التفكير السقيم ينعكس لدى الآخرين فيُرِيهم شريعة الله ورسالة الإسلام وكأنها وُجِّهَت إلى المجانين وكُلِّف بها الجهلاء والسفهاء والغافلون.

فترى هؤلاء النابتة يفتون أتباعهم بغير ما أنزل الله أو بعكس مراد الله من أحكامه، لأنهم لا يفرقون بين القطعي والظني، ولا بين واجب ومندوب، ولا يعرفون للغة العربية قوانين أو قواعد، ولا للإسناد حجية أو توثيقا، ولا للإجماع وجودا.

والاجتهاد عندهم إعمال عقل في الشريعة وهو أمر قد توقف عند خير القرون. بزعمهم. وكل مجتهد الآن فهو صاحب بدعة وضلالة.

وأما علم أصول الفقه حسب نموذج المحبة فهو علم شرعي، يوجه

العقل ويضبطه ويرشده في طريقه للاجتهاد حتى يستطيع أن يميز طريقه بين المصلحة والمفسدة بين التجديد والتبديد بين الاجتهاد الحقيقي والزائف.

فهرس الموضوعات